سلسلة العقائد
٢

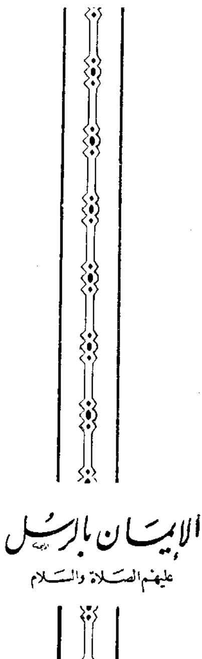
الإيمان بالرسل
عليهم الصلاة والسلام

أحمد عز الدين البيانوني

مكتبة الهدى
حلب - حول القلعة

الطبعة الأولى

١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م


الإيمان بالرسل
عليهم الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

(آمن الرسول بما أُنزِل إليه من ربه والمؤمنون ، كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ...) (١) .

(يا أيها الذين آمَنوا ، آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نَزّل على رسوله ، والكتاب الذي أنزل من قبل .

ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فقد ضل ضلالاً بعيداً) (٢) .

---

(١) ٢٨٥ ـ البقرة . (٢) ١٣٦ ـ النساء .

أقسام العقائد الاسلامية

العقائد الاسلامية تنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية ، تحت كل قسم منها فروع كثيرة :

١ ـ القسم الأول : الالهيات

وتبحث فيما يتعلق بالاله سبحانه وتعالى ، من حيث صفاته ، وأسماؤه ، وأفعاله ؛ ويلحق بها ما يستلزمه اعتقادها من العبد لمولاه تبارك وتعالى .

٢ ـ القسم الثاني : النبوات

وتبحث فيما يتعلق بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، من حيث صفاتهم ، وعصمتهم ، ومهمتهم ، والحاجة إلى رسالتهم.

ويلحق بهذا القسم ما يتعلق بالأولياء رضي الله عنهم ، والمعجزة والكرامة والكتب السماوية .

٣ ـ القسم الثالث : الروحانيات

وتبحث فيما يتعلق بالعالم غير المادي :

كالملائكة عليهم الصلاة والسلام ، والجن ، والروح ...

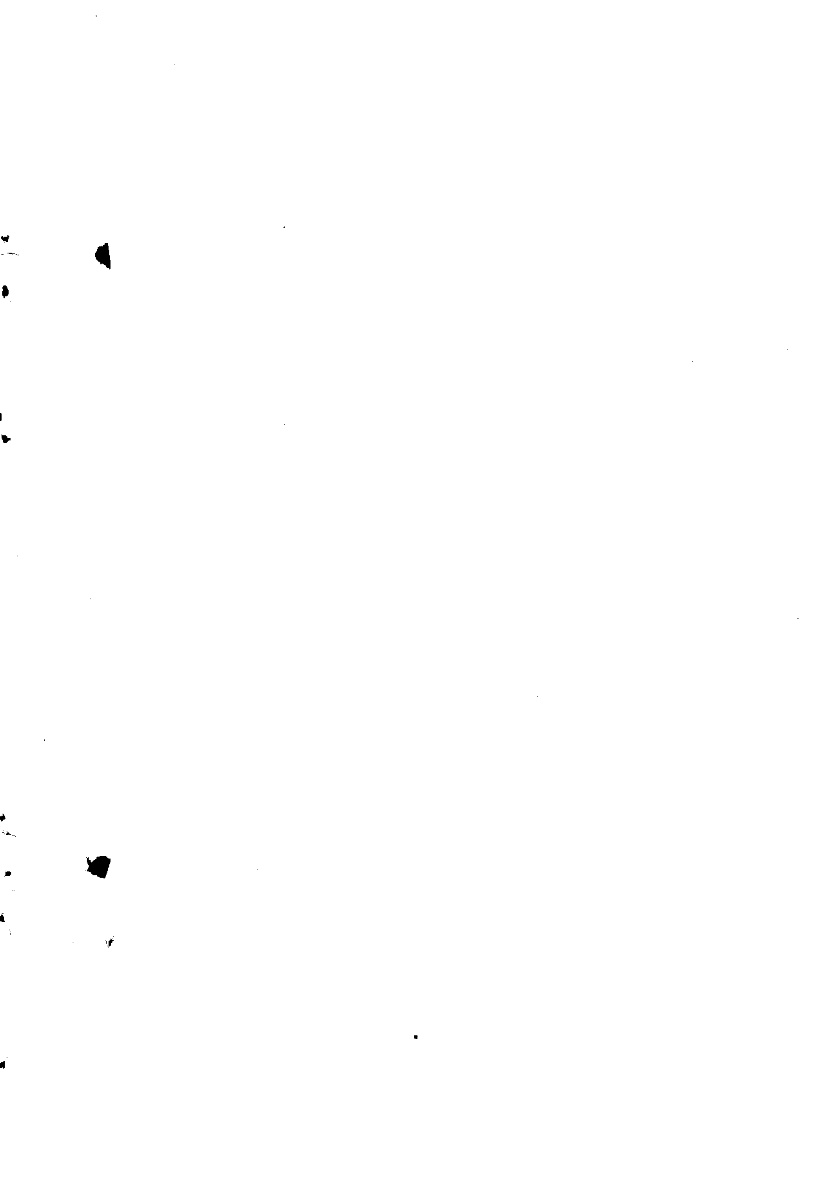
٤ ـ القسم الرابع : السمعيات

وتبحث فيما يتعلق بالحياة البرزخية ، والحياة الأخروية :
كأحوال القبر ، وعلامات الساعة ، والبعث ، والحساب،
والجزاء ... والقضاء والقدر .



القسم الثاني

النبوّات



الإيمان بالرسل
عليهم الصلاة والسلام

معنى الرسالة :

الرسالة هي أن يبعث الله تعالى الرسل إلى العباد ، ليبلغوهم عنه سبحانه ماشاء من العقائد والعبادات والأحكام والآداب .

والحكمة الالهية في ذلك أن يوفي الله تعالى عباده ما لا غنى لهم عنه، من بقاء نوعهم ، ونظام حياتهم ، وسعادتهم في دنياهم وآخرتهم .

الرسل عليهم الصلاة والسلام

والرسل رجال اصطفاهم الله تعالى من النوع الانساني ، ليكونوا وسطاء بينه وبين عباده ، يبشرون من آمن منهم بحسن الثواب ، مكافأة لهم على إيمانهم وطاعتهم وإحسانهم ،

وينذرون من كفروا وأعرضوا عن الحق ، بأن لهم عقاباً على كفرهم وإعراضهم .

قال الله تعالى :

الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ، إن الله سميع بصير (١) .

وإذا جاءتهم آية قالوا : لن نؤمن حتى نؤتَى مثل ما أوتيَ رسلُ الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته ...(٢)

وكم أرسلنا من نبي في الأولين (٣) !

إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ، وإنْ من أمة إلا خلا فيها نذير (٤) .

رسلاً مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً (٥) .

---

(١) ٧٥ ـ الحج . (٢) ١٢٤ ـ الأنعام .
(٣) ٦ ـ الزخرف (٤) ٢٤ ـ فاطر .
(٥) ١٦٥ ـ النساء .

عدد الرسل

الرسل عليهم الصلاة والسلام كثيرون .

ذُكر منهم في القرآن الكريم خمسةٌ وعشرون .

وهم على حسب ترتيبهم في الارسال :

آدم ، وإدريس ، ونوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وشعيب ، وموسى ، وهارون ، وداود ، وسليمان ، وأيوب ، وذوالكفل، ويونس ، وإلياس ، واليسع ، وزكريا ، ويحيي ، وعيسى ، ومحمد ، صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين .

قال الله تعالى : ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك ، منهم من قصصنا عليك ، ومنهم من لم نقصص عليك [1] . . .

---

(١) ٧٨ ـ غافر .

الواجب على من بلغتهم الدعوة

أوجب الله تعالى على عباده الذين بلغتهم دعوة الرسل ، أن يعتقدوا وجوب تصديقهم في أنهم يبلّغون عنه ، وأنه يجب عليهم أن يقتدوا بهم في أفعالهم وأخلاقهم وسائر أحوالهم ، وأن يأتمروا بما يأمرونهم به ، وأن ينتهوا عما ينهونهم عنه.

قال الله تعالى : وما أرسلنا من رسول إلا ليُطاعَ باذن الله (١) . .

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم (٢) . . .

وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا (٣)...

تأييد الله الرسل

ويجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يعتقد أن الله تعالى قد أيد رسله عليهم الصلاة والسلام ، وأمدهم بمؤيدات لم تعهدها

---

(١) ٦٤ ــ النساء . (٢) ٢٤ ــ الانفال .
(٣) ٧ ــ الحشر .

العقول من قبل ، ليثبتوا بها للناس صدقهم فيما بلّغوا ، وأنهم إنما أخبروهم عن ربهم عز وجل ، وأنهم ليس لهم من الأمر شيء ، إلا أنهم وسطاء مرشدون ، وناصحون مخلصون.

وهذا الذي أيد الله تعالى به رسله ، ولم تستطع أممهم أن تأتي بمثله هو : « المعجزة » التي اقتنع بها العقلاء ، وأذعن لها المنصفون من أهل اليقين .

المعجزة

من الناس من تكون فطرته سليمة ، فمتى أشرق له نور الحق ، أبصره وسار في طريقه مستضيئاً به .

ومن الناس من ينحرف عن فطرته مطيعاً لهواه ، فيتعامى عن نور الهداية ، وينحرف عن الصراط السوي ، استكباراً عن الحق ، وعمن جاء به ، وحسداً للرسول على ما آتاه الله من فضله .

لذلك اقتضت الحكمة الالهية أن يؤيد الله تعالى رسله الكرام ، عليهم الصلاة والسلام، بالبرهان الذي تخرس لها ألسنة المكابرين ، وينقطع دونه جميع ما يتوسلون به لابطال دعوى الرسالة ، وتعطيل دعوة الرسل .

وذلك البرهان هو « المعجزة » يظهرها الله تعالى على يد الرسول ، حينما يكابره الناس ويكذبونه ، ويخاصمونه بالقول من غير دليل .

فالمعجزة أمر خارق للعادة ، يجري على يد الرسول ، مقروناً بتحدّيه لقومه مغالباً لهم ، مطالباً أن يأتوا بمثل ما أتى به ، ليثبتوا أنه كاذب فيما ادعى ، وأنهم صادقون فيما يزعمون .

فاذا عجزوا عن الاتيان بمثل ما أتى به ـ وهم لاشك عاجزون ـ لزمت الحجة أعناقهم ، وثبت صدق الرسول ، ووجب عليهم التصديق برسالته ، ذلك أن الله تعالى قد شهد بصدقه بما أظهره على يديه ، مما عجزوا عن الاتيان بمثله .

فالمعجزة مُنزّلة منزلة قوله تعالى :

« صدق عبدي فيما يبلغ عني » .

هذا ، وقد يتمادى بعض المنكرين في إنكارهم عناداً واستكباراً بعد تبيّن الحق ، ووضوحه بظهور المعجزة .

وهذا لا يضيرها ، ولا يقدح في إثبات دعوى الرسالة ، إذ الغرض منها إبطال حجة المكابر ، وقطع اعتذاره .

الفرق بين المعجزة والسحر

وربما عرض بالبال ، أن السحر وأمثاله مما هو غير مألوف للناس ، يشتبه أمرهما بالمعجزة . ولكن الواقع ليس كذلك :

فان السحر مثلاً ليس أمراً تعجز عنه القوى الانسانية أن تصل اليه وتتناوله ، بل إنه مما يمكن العلم به بالتعلم والتلقي ، عمن ينقطعون له ، ويتخصصون به ، ولذلك قال فرعون مصر لسحرته ـ والمصريّون أئمة السحر وأساطينه ـ حينما غلبتهم معجزة موسى عليه الصلاة والسلام :

إنه لكبيركم الذي علّمكم السحر[١] ...

أما المعجزة ، فانها ـ كما علمت ـ أمر قد فَاق كل الفوق جميع ما يمكن أن تتناوله قدرة الانسان .

وعلى هذا يكون الفرق بين السحر والمعجزة واضحاً جلياً .

---

(١) طـه ـ ٧١ .

ولا تظنن أن ظهور شيء مخالف للمعتاد ، مباين للمألوف ، أمرٌ مستحيل . فان الله القوي القدير ، الذي جعل للأشياء المألوفة أسباباً معروفة ، قادر على أن يوجد المعجزة بسبب غير معروف لنا ، وليس بمعهود في مألوفنا .

فالمعجزة إنما هي معجزة بالنسبة للمخلوق ، أما الخالق جلّ وعلا ، فلا يعجزه شيء :

إنمـا أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له « كن » فيكون (١) .

ومصداق ذلك ما قصه الله علينا من معجزات المرسلين ، التي خلّدتها آيات القرآن الكريم .

من المعجزات

معجزة صالح عليه الصلاة والسلام :

من ذلك ما قصه الله تعالى عن صالح عليه السلام :

---

(١) ٨٢ ـ يس .

قال الله تعالى : وإلى ثمودَ أخاهم صالحا ، قال : ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، قد جاءتكم بيّنة من ربكم : هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تأكل في أرض الله ، ولا تمسوها بسوء ، فيأخذَكم عذاب اليم ...

إلى أن قال : فعقروا الناقة ، وعتَوْا عن أمر ربهم - أي عصَوْه - وقالوا : يا صالح ائتِنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين .

فأخذتْهم الرجفة - وهي الزلزلة الشديدة العظيمة - فأصبحوا في دارهم جاثمين . - أي متلبّدين في الأرض -

فتولى عنهم وقال : يا قوم لقد أبلغتم رسالة ربي ، ونصحت لكم ، ولكن لا تحبون الناصحين(١) .

فكانت المعجزة أنه أخرج لهم الناقة حين سألوه ذلك ، من حجر صَلْد .

وأضيفت الناقة إلى الله عز وجل على جهة إضافة

---

(١) ٧٣ - ٧٩ - الأعراف .

الخلق إلى الخالق ، وفيه معنى التشريف والتخصيص ، إذ كانت معجزة لصالح عليه الصلاة والسلام .

معجزة ابراهيم عليه الصلاة والسلام

ومن المعجزات ما حكاه القرآن الكريم عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعدما كسّر أصنام قومه :

قالوا : حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين .

قلنا : يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم .
وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين[1] .

معجزات موسى عليه الصلاة والسلام

وما حكاه عن موسى عليه الصلاة والسلام :
وما تلك بيمينك يا موسى ؟
قال : هي عصاي أتوكأ عليها ، وأهشّ بها على غنمي ، وليَ فيها مآرب أخرى .

---

(١) ٦٨ ــ الانبياء .

قال : ألقِها يا موسى !
فألقاها فاذا هي حية تسعى .
قال : خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى .
واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى[٢] .
وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا : اضرب بعصاك الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا[٢] ...
وما حكاه عنه مع السحرة :
قالوا : يا موسى إما أن تلقي ، وإما أن نكون نحن الملقين .
قال : ألقُوا .
فلما ألقَوْا سحروا أعين الناس ، واسترهبوهم ، وجاءوا بسحر عظيم .
وأوحينا إلى موسى أن ألقِ عصاك ، فاذا هي تلقف ما يأفكون .
فوقع الحق ، وبطل ما كانوا يعملون .

---

(١) ١٧ ـ ٢٢ ـ طه .　　(٢) ٦٠ ـ البقرة .

فغُلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ـ أي ذليلين ـ
وأُلقي السحرة ساجدين .
قالوا : آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون(١).

وما حكاه عن فَلْق البحر ، ونجاة بني إسرائيل :
فلما تراءى الجمعان ، قال أصحاب موسى : إنا لمدركون :
قال : كلا ؛ إن معي ربي سيهدينِ .

وأوحينا إلى موسى أنِ اضرب بعصاك البحر ، فانفلق
فكان كل فِرقٍ كالطود العظيم .

وأزلفنا ثَمَّ الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ،
ثم أغرقنا الآخرين . إن في ذلك لآية ، وما كان أكثرهم
مؤمنين (٢) .

معجزات عيسى عليه الصلاة والسلام

ومن المعجزات ما حكاه الله تعالى عن عيسى عليه
الصلاة والسلام :

---

(١) ١١٥ ـ ١٢٢ ـ الاعراف . (٢) ٦٣ ـ الشعراء .

ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم :

أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه ، فيكون طيراً باذن الله .

وأُبرىء الأكمه ـ أي الذي يولد أعمى ـ والأبرص وأحيي الموتى باذن الله .

وأنبئكم بما تأكلون وما تدخّرون في بيوتكم .

إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين(١) .

وما حكاه عن نزول المائدة :

إذ قال الحواريون : يا عيسى بن مريم ، هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟

قال : اتقوا الله إن كنتم مؤمنين !

قالوا : نريد أن نأكل منها ، وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا ، ونكون عليها من الشاهدين .

---

(١) ٤٩ ـ آل عمران .

قال عيسى بن مريم : اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك ، وارزقنا وأنت خير الرازقين .

قال الله : إني منزّلها عليكم ، فمن يكفر بعدُ منكم ، فاني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين[١] .

من معجزات نبينا محمد ﷺ

ونبينا محمد ﷺ أكثر الرسل معجزات .

وقد ألّف العلماء فيها كتباً مستقلة ، سموها :

« دلائل النبوة » و « الخصائص النبوية » و « حجة الله على العالمين » .

وما الى هذه التسميات المشعرة بصدق النبي ﷺ ، ونصاعة المعجزة الدالة على صدق نبوته .

وها نحن أولاء نورد لك طرفا من معجزاته ﷺ :

---

(١) ١١٤ ـ المائدة .

١ ـ القرآن الكريم

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة على وجه الدهر ، ولآية الباقية على تمادي الزمن ، تتحطم الدهور ولا تفنى عجائبه ، وتنقضي السنون ولا تبلى بدائعه .

ألّف العلماء في إعجازه وعجائبه معانيه كتباً لا يبلغها العد ، ولا يحيط بها التدوين ، وهو لا يزال جديداً على كر العصور ، وتطاول الازمنة والايام . أنزله الله تعالى هدى للعالمين ، ومنهاجاً للمتقين ، أخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وهداهم إلى صراط مستقيم ألّف به بين قلوب كانت متباغضة متنافرة ، ووحّد به بين جموع وأشتات ، كانت متعادية متناحرة ، وجعله دستوراً شاملاً كاملاً لمقتضيات الأمم في جميع الأزمان ، وتحدى به العربَ فرسان الفصاحة والبيان ، وهم الخطباء المصاقع ، والشعراء البواقع ، نخضعت أعناقهم لبلاغته ، وذلّت كبرياؤهم لفصاحته ، وعجزوا عن الاتيان بآية من مثله :

قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل

هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (١) .

وهذا الوليد بن المغيرة ، على عتوه وكبير طغيانه ، ونباهة معرفته بالشعر وبليغ القول . تنهار علياؤه ، وتذوب غلواؤه ، ويخضع صاغراً مستكينا أمام هذا القرآن العظيم، حينما سمع من رسول الله ﷺ قوله تعالى :

إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون(٢).

فلا يتمالك أن يقول : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة - أي رونقا - وإن أسفله لمغدِق - أي ريان- وإن أعلاه لمثمر ، وإنه ليعلو وما يُعلى ، وإنه ليحطم ماتحته، وما يقول هذا بشر (٣) .

وإنك بعد هذا ، إذا تأملت القرآن الكريم ، وجدته قد حوى من العلوم العليا في العقائد والشرائع التي ينتظم بها أمر المعاش وأحوال الناس وسياسة الدنيا ، وحكى عن

---

(١) ٨٨ - الاسراء . (٢) ٩٠ - النحل .
(٣) القاضي عياض والسيوطي .

أخبار المعـاد والمرسلين وأخبار أممهم ، والاخبار بالغيوب السابقة والآتية ، وغير ذلك من العلوم ، ما أجهز على الشك، ودفن التردد في أنه كلام الله تعالى الذي : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ تنزيل من حكيم حميد »(١).

هذا ، والمنزل عليه ﷺ أمي ، لم يقرأ في كتاب، ولم يخط بقلم ، ولم يجلس إلى عالم ، بل نشأ في أمة أمية ، لا تعرف قراءة ولا كتابة :

« هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين (٢) . »

٢ ـ انشقاق القمر :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :

اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ منهم :

الوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص

---

(١) ٤٢ ـ فصلت . (٢) ٢ ـ الجمعة .

ابن أبي وائل ، والعاص بن هشام ، والأسود بن عبديغوث ، والأسود بن المطلب بن أسد ، وزمعة بن الأسود ، والنضر ابن الحارث . . . ونظراؤهم كثير ، فقالوا للنبي ﷺ :

إن كنت صادقاً فشُقَّ لنا القمر فرقتين ، نصفاً على أبي قبيس ، ونصفاً على قَيْقُعان !

فقال لهم رسول الله ﷺ : إن فعلتُ تؤمنوا ؟

قالوا : نعم .

وكانت ليلة بدر ، فسأل رسول الله ﷺ ربه عز وجل أن يعطيه ما سألوا .

فأمسى القمر قد مَثَلَ - أي صار - نصفاً على أبي قبيس ؛ ونصفاً على قيقعان .

ورسول الله ﷺ ينادي : يا أبا سَلَمة بن عبدالأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ؛ اشهدوا (١) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه من روايات متعددة ، قال :

---

(١) أبو نعيم في دلائل النبوة .

انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بمكة فرقتين، فرقة فوق الجبل ، وفرقة دونه .

فقال النبي ﷺ : اشهدوا ، اشهدوا .

فقال كفار قريش : سحركم ابن ابي كبشة !

فقال رجل منهم : إن محمداً إن كان سحر القمر ، فانه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها ، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر ، هل رأوه ؟

فأتوا فسألوهم ، فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك .

فقالو : هذا سحر مستمر .

فأنزل الله تعالى قوله :

اقتربت الساعة وانشقّ القمر ، وإن يروا آية يُعرضوا ويقولوا : سحر مستمر (١) .

وقد ذكرت بعض الجرائد الأجنبية مقالة ، عربتها جريدة « الانسان » العربية التي كانت تطبع بالآستانة ، حاصلها :

أنه عُثر في ممالك الصين ، على بناء قديم ، مكتوب عليه : أنه بني عام كذا ، الذي وقع فيه حادث سماوي

---

(١) ١ و ٢ ــ القمر .

عظيم ، وهو انشقاق القمر نصفين .

فحُرِّر الحساب ، فوافق سنة انشقاقه لسيدنا رسول الله ﷺ .

٣ ـ تكثير الطعام القليل

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه قال :

لما حُفر الخندق رأيت برسول الله ﷺ خَمَصاً ـ أي جوعاً ـ شديدا ، فانكفأت ـ أي رجعت ـ الى امرأتي فقلت :

هل عندك شيء ؟ فاني رأيت برسول الله ﷺ خَمُصاً شديدا . فأخرجتْ لي جراباً ـ أي كيسا ـ في صاع من شعير . ولنا بُهَيْمة ـ أي سَخْلة ـ داجن ، فذبحتُها ، وطحنتِ الشعير ، ففرغتْ إلى فراغي ، وقطّعتُها في بُرْمَتها ـ أي قدرها ـ ثم ولّيت إلى رسول الله ﷺ .

فقالت : لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه .

فجئته فساررته ؛ فقلت : يا رسول الله ، إنا قد

ذبحنا بهيمة لنا ، وطحنا صاعا من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معك .

فصاح النبي ﷺ ، وقال :

يا أهل الخندق ، إن جابراً قد صنع لكم سُوراً - أي طعاماً - فحيَّهلاً بكم - أي هلموا مسرعين -

وقال رسول الله ﷺ : لا تُنزِلُنَّ بُرْمتكم ، ولا تخبِزُنَّ عجينكم حتى أجيء .

فجئت وجاء رسول الله ﷺ يَقْدُم الناس ، حتى جئت امرأتي ، فقالت : بك وبك - تذمّه حيث أتى بناس كثير ، والطعام قليل ، وذلك موجب للخجالة -

فقلت : قد فعلتُ الذي قلتِ .

فأخرجتُ له عجيننا ، فبارك فيه ، ثم عمد إلى بُرْمتنا فبارك فيها ، ثم قال : ادعي خابزة فلتخبز معك ، واقدحي - أي اغرفي - من برمتكم ولا تنزلوها .

وهم ألف ، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه ، وانحرفوا ،

وإن بُرمتنا لتغُطّ - أي تغلي وتفور - كما هي ، وإن عجيننا ليُخبز كما هو[١] .

٤ - نبع الماء من بين أصابعه ، وتكثيره ببركته ﷺ

وقد تظاهرت الأحاديث في هذه المعجزة تظاهراً مستفيضاً ، فرواها الجم الغفير ، منهم :

أنس بن مالك ، وجابر بن عبدالله ، وعبدالله بن مسعود ، وعمران بن حُصَين ... رضي الله عنهم . عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أنه قال :

خرج النبي ﷺ في بعض مخارجه - أي أسفاره - ومعه ناس من أصحابه ، فانطلقوا يسيرون ، فحضرت الصلاة ، فلم يجدوا ماء يتوضئون ، فانطلق رجل من القوم ، فجاء بقدح من ماء يسير ، فأخذه النبي ﷺ ، فتوضأ ، ثم مدّ أصابعه الأربع على القدح ، ثم قال قوموا فتوضئوا . فتوضأ القوم ... وكانوا سبعين[٢] .

---

(١) البخاري ومسلم .　　(٢) البخاري .

وقد تكرر وقوع هذه المعجزة العظمى مرات كثيرة في السفر والحضر ، فقد روى المحدثون روايات متعددة في ذلك ، والقوم مرة كانوا ستين ، ومرة ثمانين ، ومرة ثلاثمئة .

– عن جابر رضي الله عنه ، أنه قال :

عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة ، فتوضأ منها ، ثم أقبل الناس نحوه .

فقال رسول الله ﷺ : مالكم ؟

قالوا : يارسول الله ! ليس عندنا ماء نتوضأ به ، ولا نشرب ، إلا ما في ركوتك !

فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا .

فقيل لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ !

قال : لو كنا مئة الف لكفانا ، كنا خمس عشرة مئة (١) .

– وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، أنه قال :

كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقلّ الماء .

(١) البخاري ومسلم .

فقال ﷺ : اطلبوا فضلة من ماء .

فجاءوا باناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الاناء ، فقال :

حيَّ على الطهور المبارك ، والبركة من الله .

قال عبد الله : فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ (١) .

ـ وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال :

كنا في سفر مع النبي ﷺ ... فاشتكى إليه الناس من العطش ، فنزل فدعا فلاناً ودعا عليا ، فقال : اذهبا فابتغيا الماء .

فانطلقا ، فلتقّيا امرأة بين مزادتين أو سطحيتين من ماء على بعير لهـا .

فقالا لها : أين المـاء ؟

قالت : عهدي بالماء أمس هذه الساعة ـ أي بعدي

---

(١) البخاري والترمذي .

عن الماء يوم كامل ـ ونَفَرُنا خُلوفاً ـ أي كان رجالنا مسافرين ـ

قالا لها : انطلقي إذن .

قالت : إلى أين ؟!

قالا : إلى رسول الله .

قالت : الذي يقال له : الصابىء ـ الذي خرج عن دينه ـ ؟

قالا : هو الذي تعنين ، فانطلقي .

فجاءوا بها الى النبي ﷺ وحدّثاه الحديث .

فاستنزلوها عن بعيرها ، ودعا النبي ﷺ باناء ، ففرّغ فيه من أفواه المزادتين ـ القربتين ـ وأوكأ أفواههما ـ أي ربطهما ـ واطلق العَزالى ـ أي الافواه السفلى ـ ونودي في الناس : اسقوا واستقوا .

فسقى من شاء ، واستقى من شاء ... وهي قائمة تنظر الى مايُفعل بمائها . وايم الله لقد أقلع عنها ، وانه ليُخيّل

الينا أنها أشد ملأةً منها حين ابتدأ فيها .

فقال النبي ﷺ : اجمعوا لها .

فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة ، حتى جمعوا لها طعاما ، فجعلوه في ثوب ، وحملوها على بعيرها ، ووضعوا الثوب بين يديها .

قال لها : تعلمين ما رَزِئنا – أي ما نقصنا – من مائك شيئاً ؟ ولكن انما هو الله الذي أسقانا .

فأتت أهلها وقد احتبستْ – اي تأخرتْ – عنهم .

قالوا : ما حبسك يا فلانة ؟!

قالت: العجب ، لقيني رجلان ، فذهبا بي الى هذا الذي يقال له « الصابىء » ففعل كذا وكذا ، فوالله إنه لأسحر الناس من بين هذه وهذه – تعني السماء والأرض – أو إنه لرسول الله حقاً !

فكان المسلمون بعد ذلك يُغيرون على من حولها من المشركين ، ولا يصيبون الصِّرْم التي هي منه – والصرم

الجماعة ينزلون بإبلهم قريباً من الماء ـ .

فقالت يوماً لقومها : ما أرى ـ أي ما أظن ـ أن هؤلاء القوم يَدَعونكم عمدا ، فهل لكم في الاسلام ؟

فأطاعوها فدخلوا في الاسلام (١) .

٥ ـ الإسراء والمعراج

قال الله تعالى : سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير (٢) .

والاسراء : السفر ليلاً .

وكان إسراؤه ﷺ قبل الهجرة بسنة أو سنتين ، وخبره شائع مستفيض ، رواه الائمة ، وتناقله الخلف عن السلف ، وحكموا على منكره بالكفر ، لوروده في صريح القرآن ، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بذلك أيضاً .

---

(١) البخاري ومسلم . (٢) ١ ـ الاسراء .

وسنقتصر على موضع الشاهد ، فنورد طرفا من الحديث ، جامعين بين روايات الأئمة الأعلام ، وفيها :

أن النبي ﷺ صبيحة إسرائه انتهى إلى نفر من قريش فأخبرهم باسرائه إلى بيت المقدس ، وما أراه الله تعالى من آياته . فأعظموا ذلك ، وقالوا : صف لنا بيت المقدس . فصُوِّر له حتى أنبأهم بعلاماته .

وفي رواية : قالوا له : ما آية ذلك يا محمد ؟ فانا لم نسمع بمثل هذا قط ؟

فقال : آية ذلك أني مررت بعير بني فلان ، بوادي كذا وكذا ، فأنفرهم حِسُّ الدابة - يعني البراق - فنَدَّ - أي شرد - لهم بعير ، فدللتهم عليه ، وأنا موجَّه إلى الشام ، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضَجْنان - جبل قرب مكة - مررت بعير بني فلان ، وآية ذلك أن عيرهم الآن تصوّب - أي تجيء - من البيضاء ثنية التنعيم ، يقدُمها جمل أورق - أي في لونه بياض إلى سواد - عليه غِرارتان - مثنى غِرارة وهي العدل - إحداهما سوداء والأخرى برقاء .

فابتدر القوم الثنيّة ـ أي استبقوا إليها ـ فلم يلقهم أولُ من الجمل ـ أي شيء قبله ـ كما وصف لهم ـ وسألوهم بمكة فقالوا:

صدق والله لقد أنفرنا في الوادي الذي ذكر ، وندّ لنا بعير ، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه حتى أخذناه(١) .

والمعراج : صعوده ﷺ إلى العالم العلوي .

وفيه فرضت الصلوات الخمس ، وقد وردت فيه أحاديث صحيحة أيضاً .

٦ ـ حنين الجذع له ﷺ

عن جابر رضي الله عنه أنه قال :

كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل ، فكان النبي ﷺ إذا خطب ، يقوم على جذع منها ، فلما صنع المنبر فكان عليه ، سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العِشار

---

(١) أحمد وغيره .

- يعني الناقة الحامل - حتى جاء النبي ﷺ ، فوضع يده عليه فسكن .

وفي رواية : فلما كان يوم الجمعة ، ورفع إلى المنبر صاحت النخلة صياح الصبي .

وفي رواية : فحنّ الجذع حنين الناقة . فنزل النبي ﷺ فمسّه فسكن [١] .

٧ - سرعة استجابة دعوته ﷺ

عن أنس رضي الله عنه ، أنه قال :

أصاب أهلَ المدينة قحط على عهد رسول الله ﷺ فبينما هو يخطب يوم جمعة ،إذ قام رجل فقال :

يا رسول الله ، هلكتِ الكراع - يعني الخيل - هلكت الشاء - يعني الغنم - فادعُ الله يسقينا .

فمدَّ يده ودعا .

---

(١) الترمذي .

قال أنس : وإن السماء كمثل الزجاجة – أي في الصفاء ليس فيها سحاب – فهاجت ريح أنشأت سحاباً، ثم اجتمع ، ثم أرسلت السماء عَزا لِيَها – جمع عزلاء وهي فم القربة الاسفل ، والمراد نزول المطر كأفواه القرب – فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا ، فلم نزل نُمطَر إلى الجمعة الاخرى .

فقام إليه ذلك الرجل أو غيره ، فقال :

يا رسول الله ، تهدمت البيوت ، فادع الله يحبسه. فتبسم النبي ﷺ ، ثم قال : حَوالَيْنا ولاعلينا. فنظرت إلى السحاب تصدعّ حول المدينة كأنه إكليل(١).

٨ – فهم شكوى الجمل

دخل النبي ﷺ حائطاً – أي بستانا – لرجل من الاصار ، فاذا فيه جمل ، فلما رأى رسول الله ﷺ جَرْجَرَ أي صَوَّت – وذرفت عيناه .

(١) البخاري ومسلم .

فأتاه النبي ﷺ ، فمسح سَرَاته ـ أي سنامه ـ وذِفْراه ـ أي خلف أذنه ـ فسكن .

فقال : مَنْ رب هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟

فجاء فتى من الانصار فقال : هذا لي يارسول الله .

قال : أفلا تتقي الله في هذه البهيمة ، التي ملّكك الله إياها؟

فانه يشكو إليّ أنك تجيعه وتدئبه ـ أي تتعبه[1] ـ .

٩ ـ الإخبار بالمغيّبات

عن عديّ بن حاتم رضي الله عنه أنه قال :

بينما أنا عند النبي ﷺ ، إذ أتاه رجل ، فشكا إليه الفاقة ـ يعني الفقر ـ ثم أتاه آخر ، فشكا قطع السبيل ـ أي لوجود الاشرار فيه ـ .

فقال : يا عديّ ، هل رأيت الحيرة ؟ ـ بلد بالعراق ـ ؟

---

(١) أبو داود .

قلت : لم أرها وقد أنبئت عنها .

قال : فإن طالت بك حياة ، لَتريَنَّ الظعينة ـ وهي المرأة في الهودج ـ تَرتحل من الحيرة ، حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف إلا الله . ولئن طالت بك حياة ، لتُفتَحنَّ كنوز كسرى .

قلت : كسرى بن هرمز .

قال : نعم ، ولئن طالت بك حياة ، لَترينَّ الرجل، يُخرج ملء كفه من ذهب أو فضة ، فلا يجد من يقبله ...

قال عديّ : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف إلا الله . وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى . ولئن طالت بكم حياة ، لترونَّ ما قال أبو القاسم ﷺ (١) .

ـ وعن خبَّاب بن الأرتّ رضي الله عنه ، أنه قال :

شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في

---

(١) البخاري .

ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلنا له :
ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟

فقال : قد كان من قبلكم ، يؤخذ الرجل ، فيحفَر له في الأرض ، فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار ، فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، ما يصُدُّه ذلك عن دينه .

والله لَيُتِمَّنَّ الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله والذئبَ على غنمه ، ولكنكم تستعجلون (١) .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :
صنفان من أهل النار لم أرهما :
قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس.
ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رءوسهن كأسنمة البُخْت - أي الابل - المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدنَ ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا(٢).

---

(١) البخاري .
(٢) مسلم .

– وعن عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال :

صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر ، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرتِ الظهر !

فنزل فصلى ، ثم صعد المنبر ، فخطب حتى حضرتِ العصر .

ثم نزل فصلى ، ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس .

فأخبرنا ما كان وما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا [١] .



(١) مسلم .

تفضيل نبينا ﷺ على النبيين وطرف من خصائصه

جرت سنة الله تعالى أن يختار أنبياءه ورسله من أفضل خلقه لديه ، وأكرمهم عنده ، ليكونوا مصابيح أقوامهم ، وهداة أممهم ، وقدوة صالحة للبشر ، وأسوة حسنة للناس .

قال الله تعالى في معرض ذكر الرسل ، واصطفائهم بالرسالة :

وكلاً فضَّلنا على العالمين . ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم ، واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم(١) .

وكما فضَّل الله تعالى رسله على العالمين ، ميَّز بعض رسله على بعض ، وسامى بين مراتبهم :

قال تعالى : تلك الرسل فضَّلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات (٢) . . .

---

(١) ٨٧ ـ الأنعام .   (٢) ٢٥٣ ـ البقرة .

وقال عز وجل : ولقد فضَّلنا بعضهم على بعض ، وآتينا داود زبورا (١) .

من خصائص نبينا ﷺ

١ ـ ميثاق النبيين

جعل الله تعالى نبينا ﷺ أفضل الرسل ، وخاتم النبيين ، وأخذ له الميثاق والعهد ، أن يؤمنوا به ، ويكونوا من أتباعه وأنصاره إذا بُعث فيهم وأدركوا زمنه .

عن علي وابن عباس رضي الله عنهما أنهما قالا :

ما بعث الله نبياً آدم فمَـنْ بعده ، إلا أخذ عليه الميثاق : لئن بُعث محمد وهو حيٌ ، ليؤمنَنَّ به ولينصرَنَّه ، وأمره أن يأخذ العهد على قومه : لئن بعث محمد وهم أحياء ، ليؤمنُنَّ به ، ولينصرُنَّه وليتّبعُنَّه .

ثم تلا علي رضي الله عنه :

---

(١) ٥٥ ـ الاسراء .

وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لَمَا – أي مهما – آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم ، لتؤمنُنّ به ولتنصرُنّه .

قال : أأقررتم ، وأخذتم على ذلك إصري – أي عهدي – ؟

قالوا : أقررنا .

قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين(١) .

وإنما أخذ الله له العهد والميثاق من النبيين ، مع علمه تعالى أنهم لا يدركونه ، لاظهار فضله عليهم ، ورفع شأنه بينهم ، وللتنويه بقدره ، والاشادة بذكره . فان الله تعالى، يعلم أنه خاتم النبيين ، عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

قال الله عز وجل : ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكنْ رسولَ الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليما (٢) .

---

(١) ٨١ – آل عمران . والحديث رواه البخاري .
(٢) ٤٠ – الاحزاب .

٢ - عموم رسالته

ومما خص الله تعالى نبينا ﷺ ، أنْ جعل دعوته عامة ، ودعوة المرسلين قبله خاصة .

قال الله تعالى : وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون (١) .

وفي الحديث الشريف : "أُعطيتُ خمساً لم يُعطَهنّ أحد قبلي :

نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعلتْ لي الأرض مسجداً وطَهورا ، فأيمّا رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ ، وأحلّتْ لي الغنائم ، ولم تحِلّ لأحد قبلي ، وأُعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى الناس عامة (٢) .

وفي رواية : وخُتم بي النبيون .

---

(١) ٢٨ ـ سبأ . (٢) البخاري ومسلم .

٣ - شفاعته

ومن أعظم خصائص نبينا ﷺ ، الشفاعة العظمى يوم القيامة ، يوم يلجأ الناس إلى الأنبياء مستشفعين بهم إلى ربهم ، فـلا يجدون لديهم شفاعة ، ويحاولون من نبي إلى نبي ، حتى يكون سيدنا محمد ﷺ هو الشفيع المشفّع والداعي المجاب :

عن أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال :

أنا سيد الناس يوم القيامة ، هل تدرون ممَّ ذلك ؟!

يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيبصرهم الناظر ، ويسمعهم الداعي ، وتدنو الشمس من جماجم الناس ، فيبلغ الناس من الغم والـكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون .

فيقول الناس : ألا ترون الى ما أنتم فيه ، ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون الى من يشفع لـكم إلى ربـكم ؟ !

فيقول بعض الناس لبعض : ائتوا آدم .

فيأتونه ، فيقولون : يا آدم : أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة . . . ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا ؟

فيقول : إن ربي قـد غضب اليـوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبداً شكورا ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ! ألا ترى ما بلغنا ؟ ! ألا تشفع لنا إلى ربك ؟

فيقول لهم : ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة ، دعوت بها على قومي ، نفسي نفسى نفسي ، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم .

فيأتون إبراهيم ، فيقولون : أنت نبي الله وخليله من

أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ !

فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات ، فذكرها ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى .

فيأتون موسى ، فيقولون : يا موسى أنت رسول الله فضّلك الله برسالاته وبكلامه على الناس ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، اشفع لنا إلى ربك .

فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى .

فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى : أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلمت الناس في المهد صبياً ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ! اشفع لنا إلى ربك .

فيقول عيسى : إن ربي قـــد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ـ ولم يذكر ذنباً ـ اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد .

فيأتون محمداً فيقولون : يا محمد ! أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، قد غفر الله لك ما تقـدم من ذنبك وما تأخر ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ! اشفع لنا إلى ربك .

فأقول : أنا لها . فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتـح الله عليّ ، ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي .

ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تُعطَـهْ ، واشفع تشفـّع .

فأرفع رأسي ، فأقول : أمتي يا رب ، أمتي يا رب !

فيقال : يا محمد ،أدخلْ من أمتك من لاحساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب .

والذي نفسي بيده إن بين المصراعين من مصاريع الجنة

لـكما بين مكة وهَجَر ـ بلد باليمن ـ أو كما بين مكة وبُصرى (١) ـ بلد بالشام ـ

لزوم الادب معه ﷺ

قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله (٢) . . .

ـ فمن الأدب أن لا يُتقدّم بين يديه ﷺ بأمر ولا نهي ولا إذن ولا تصرّف ، حتى يأمر هو وينهى ويأذن ، كما أمر الله تعالى بذلك .

وهذا باقٍ له إلى يوم القيامة لم ينسخ ، فالتقدم بين يدى سنته بعد وفاته ، كالتقدم بين يديه في حياته ، لا فرق بينهما عند ذي عقل سليم .

ـ ومن الأدب معه ﷺ أن لا تُرفع الاصوات فوق صوته ، كما قال تعالى :

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) ١ ـ الحجرات .

يا أيها الذين آمنوا ، لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض[١] . . .

فاذا كان رفع الاصوات فوق صوته ﷺ موجباً لحبوط الأعمال ، فما الظن برفع الآراء ونتاج الأفكار ، على سنته وما جاء به عليه الصلاة والسلام ؟ !

ـ ومن الادب معه ﷺ ، أن لا يُجعَل دعاؤه بيننا كدعاء بعضنا بعضاً :

قال الله تعالى : لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً[٢] . . .

أي : لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا ، بل قولوا : « يارسول الله ، يانبي الله » مع التوقير والتواضع .

ـ ومن الأدب معه ﷺ أنه لايُستَشكل قوله ، بل تُستَشكل الآراء بقوله ، ولا يعارض نصه بقياس ، بل تُهدَر الأقيسة وتُلقى لنصوصه ، ولا يتوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد . . .

---

(١) ٢ ـ الحجرات . (٢) ٦٣ ـ النور .

فـكل هذا من قلة الأدب معه ، وهو عين الجراءة عليه ﷺ .

ـ ورأس الادب معه ﷺ كمال التسليم له ، والانقياد لأمره ، وتلقي خبره بالقبول والتصديق .

تعظيمه ﷺ

روى العلماء في تراجم الصحابة والتابعين ، وسِيَرهم مآثر باهرة في تعظيمهم للنبي ﷺ ، وتوقيره .

من ذلك أنهم رضي الله عنهم كانوا في المقام الاسنى من تعظيم أمره ونهيه ، والمبادرة إلى ما يندبهم إليه .

وكانوا يخفضون أصواتهم عنده ، ولا ينادونه كما ينادي بعضهم بعضا .

وكان كلام أحـدهم معـه كأخي السرار ـ أي كالمتحدث بسر ـ

وكانوا لا ينصرفون من مجلسه إلا باذنه ، ولا

يسبقونه في قول ، ولا يتقدمونه في عمل ؛ ولا يعملون إلا بأمره وهديه .

ولما أوفدت قريش عروة بن مسعود الثقفي يوم الحديبية - قبل أن يسلم - الى رسول الله ﷺ ، ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى ، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وَضوءه - أي ماء وضوئه - ولا تسقط منه شعرة إلا استبقوا إليها ، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، ولا يُحدّون النظر إليه . . . رجع إلى قريش فقال لهم :

يا معشر قريش ! إني جئت كسرى في عظمته ، وقيصر في سلطانه ، والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثلَ محمد في أصحابه .

وسأل الرسول ﷺ عمه العباس مرة فقال :

أنا أكبر أو أنت ؟

فقال أنت أكبر وأكرم ، وأنا أسنّ منك (١) .

---

(١) رواه السيوطي في كتابه : تاريخ الخلفاء .

ولقد تكرر صدور هذا من أصحابه رضي الله عنهم مما يدل على يقظة تامة ، وتأدب شامل ، لا تدركهم فيه الغفلة ، ولا ينالهم فيه السهو .

من ذلك أن سعيد بن يربوع المخزومي رضي الله عنه سأله رسول الله ﷺ فقال :

أيّنا أكبر أنا أو أنت [١] ؟

قال : أنت أكبر وأخير مني ، وأنا أقدم منك سِناً .

وسأل عثمان بن عفان رضي الله عنه قُباث بن أشْيَم الكناني رضي الله عنه :

أنت أكبر أم رسول الله ﷺ ؟

فقال قباث : رسول الله ﷺ أكبر ، وأنا أقدم منه في الميلاد [٢] .

ـ وجاء رجل الى سعيد بن المسيب رضي الله عنه ، فسأله عن حديث وهو مضطجع ، فجلس وحدّثه .

---

(١) رواه الحافظ ابن حجر في كتابه : الاصابة .
(٢) رواه الترمذي .

فقال له الرجل : ودِدتُ أنك لم تتعنَّ ـ أي لم تترك راحتك ـ .

فقال : إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع .

ـ وكان الامام مالك رضي الله عنه ، لايحدّث بحديث رسول الله ﷺ ، إلا وهو على وضوء ، إجلالاً له .

ـ ولما ناظره أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين فيمسجد رسول الله ﷺ ، ورفع صوته في المناظرة ، قال له :

ياأمير المؤمنين ، لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فان الله تعالى أدّب قوماً فقال :

« لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي (١) . . . »

ومدح قوماً فقال :

« إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى (٢) . . . »

---

(١) ٢ ـ الحجرات . (٢) ٣ ـ الحجرات .

وذمّ قوماً فقال :

« إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (١) » .

وإنّ حرمته ﷺ ميتاً كحرمته حياً .

فاستكان لها أبو جعفر - أي خضع - .

الصلاة على النبي ﷺ

ومن أبرز مظاهر تعظيمه ﷺ ، الصلاة والسلام عليه كلما ذُكر . وقد أخبرنا الله تعالى أنه يصلي عليه وملائكته ، وأمرنا بذلك أيضاً ، فقال :

إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (٢) .

وصلاة الله تعالى ، وصلاة ملائكته على رسوله ﷺ معناها : ثناؤه سبحانه وتعالى وثناء ملائكته عليه ، وتمجيده

(١) ٤ - الحجرات . (٢) ٥٦ - الاحزاب .

ﷺ ، والعناية بـــه وإظهار شرفه ، والاشادة بذكره وفضله ، والاعلاء من حرمته وشأنه ، وليس بعـد هذا تعظيم أو ثناء .

وحسبك أن الله تعالى أمر عباده بالصلاة والسلام على رسوله ﷺ فقال :

« يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما »

وحضّنا عليها الرسول نفسه فقال :

ـ من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا [١] .

ـ أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة [٢] .

ـ إن من أفضل أيامكم يومَ الجمعة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه ، فان صلاتكم معروضة عليّ .

قالوا : يا رسول الله ، وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرَمْتَ ـ أي بليت ـ ؟

---

(١) مسلم .   (٢) الترمذي .

قال : إن الله حرَّم على الأرض أجسادَ الأنبياء (١) .

ــ رَغِم ـ أي ذلَّ ـ أنفُ رجل ذُكِرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ (٢) .

ــ البخيل من ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ (٣) .

وأفضل صيغ الصلاة على النبي ﷺ الصلاة الابراهيمية التي تقرأ في القعود الاخير بعد التشهد في كل صلاة .

وللجمع بين الصلاة عليه ـ ﷺ ـ والسـلام ، يزاد في آخرها :

« السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » .

نداء الله تعالى اياه

ــ ومن مظاهر تمظيم الله تعالى نبينا ﷺ أنه نادى أنبياءه بأسمائهم فقال :

---

(١) أبو داود . (٢) الترمذي .
(٣) النسائي وغيره.

يا نوح اهبطْ بسلامٍ منا وبركات عليك [١] . . .

يا إبراهيم قد صـــدّقتَ الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين [٢] .

ياموسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي[٣]...

ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك [٤]...

ولم ينادِ نبينا ﷺ باسمه ، وإنما ناداه بلقب النبوة أو الرسالة ، فقال جل شأنه :

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا [٥] .

يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر[٦]...

وفي هذا أبلغ تعظيم وأبهاه ، وأشمله ، وأكمـــله وأزكاه . . .

---

(١) ٤٨ ـ هود .

(٢) ١٠٥ ـ الصافات .

(٣) ١٤٤ ـ الاعراف .

(٤) ١١٠ ـ المائدة .

(٥) ٤٥ ـ الاحزاب .

(٦) ٤١ ـ المائدة .

وجوب محبة واتباع سنته والاهتداء بهديه

إن محبة رسول الله ﷺ ، بعد محبة الله عز وجل هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون ، وإليها يشخص العاملون ولا عجب فقد أنقذنا الله تعالى به من النار ، وأوجب لنا باتباعه الفلاح الأبدي ، والنعيم السرمدي .

قال الله تعالى محذراً ومتوعدا :

قل : إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها ، وتجارة تخشَون كسادها ، ومساكنُ ترضَونها ، أحبَّ إليكم من الله ورسوله ، وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين(١) .

وقال عز وجل : لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوَادّون من حادَّ الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الايمان ، وأيَّدهم بروح منه ، ويُدخلهم جناتٍ تجري من

---

(١) ٢٤ ـ التوبة .

تحتها الانهار خالدين فيها ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون (١)

ـ وفي الحديث الشريف : ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الايمان :

أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما .

وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله .

وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار (٢) .

ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين (٣) .

ـ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه قال للنبي ﷺ :

---

(١) ٢٢ ـ المجادلة . (٢) البخاري ومسلم .
(٣) البخاري .

لأنت يا رسول الله أحب إليّ من كل شيء ، إلا نفسي التي بين جنبيّ .

فقال النبي ﷺ : لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه .

فقال عمر : والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إليّ من نفسي التي بين جنبيّ .

فقال له النبي ﷺ : الآن يا عمر (١) .

– وعن علي كرم الله وجهه أنه قال :

كان رسول الله ﷺ أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ، ومن الماء البارد على الظمأ (٢) .

علامة محبة النبي ﷺ

ولمحبة النبي ﷺ علامات :

---

(١) البخاري . (٢) القاضي عياض في كتابه : الشفاء .

أعظمها الاقتداء به ، واتباع سنته ، وسلوك طريقته ، والاهتداء بهديه وسيرته ، والوقوف عند ما حدّه لنا من شريعته .

قال الله تعالى : قل : إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ... (١) .

أمثلة من محبة الصحابة النبي ﷺ

وقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثال في محبة النبي ﷺ :

١ - روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، دخل غار ثور ليلة الهجرة قبل رسول الله ﷺ ، ليقيه بنفسه إذا كان فيه شيء يؤذي ، وأنه رأى جُحراً فألقمه عَقِبه - أي مؤخّر قدمه - لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله ﷺ ، فدخل ﷺ الغار ، ووضع رأسه في حجر أبي بكر ونام ، فلُدغ أبو بكر في رجله من الجحر ، ولم

---

(١) ٣١ - آل عمران .

يتحرك ، فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ فقال : ما بالك يا أبا بكر ؟

فقال : لُدِغت فداكَ أبي وأمي .

فتفل عليه رسول الله ﷺ ، فذهب ما يجده[1].

٢ ـ ولما أخرج أهل مكة زيدَ بن الدَّثِنة رضي الله عنه من الحرم ليقتلوه ، قال له أبو سفيان :

أنشُدك بالله يا زيد ، أتحب أن محمداً الآن عندنا تُضرب عنقه ، وأنك في أهلك ؟

فقال زيد : والله ما أحب أن محمداً في مكانه الذي هو فيه ، تصيبه شوكة ، وأني جالس في أهلي !

فقال أبو سفيان : ما رأيت أحداً من الناس يحب أحدا ، كحب أصحاب محمد محمداً[2] !

٣ ـ وكان ثوبان رضي الله عنه ، مولى رسول الله

---

(١) ابن إسحاق . (٢) البيهقي .

ﷺ ، شديدَ الحب له ، قليل الصبر عنه ، فأتاه ذات يوم ، وقد تغيّر لونه ، يُعرف الحزن في وجهه .

فقال له رسول الله ﷺ : ما غيّر لونك ؟

فقال : يارسول الله ، مابي مرض ولا وجع ، غير أني إذا لم أرَك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك . ثم ذكرت الآخرة ، فأخاف أن لا أراك ، لأنك ترفع مع النبيين ، وإني إن دخلت الجنة في منزلة أدنى من منزلتك ، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدا .

فنزل قوله تعالى : ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحَسُن أولئك رفيقاً (١) .

وروي أن امرأة من الأنصار ، قُتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد ، مع رسول الله ﷺ .

فقالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟

---

(١) ٦٩ ـ المائدة . والحديث رواه الطبراني .

قالوا : خيرا ، هو بحمد الله كما تحبين .

قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ،

فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جَلَل (١) ـ أي صغيرة ـ .

٥ ـ وعن كعب بن عُجْرَة رضي الله عنه أنه قال :

أتيت النبي ﷺ ، فرأيته متغيّرا .

فقلت : بأبي أنت ، مالي أراك متغيراً ؟ !

قال : ما دخل جوفي ما يدخل جوف ذات كبد منذ ثلاث !

قال : فذهبت فاذا يهودي يسقي إبلاً له ، فسقيت له على كل دلو بتمرة ، فجمعت تمراً ، فأتيت به النبي ﷺ .

فقال : من أين لك يا كعب ؟

فأخبرته ، فقال : أتحبني يا كعب ؟

---

(١) ابن إسحاق .

قلت : بأبي أنت ، نعم !

قال : إن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى معادنه (١) . . .

٦ ـ وعن حُصين بن وَحْوَح الأنصاري رضي الله عنه ، أن طلحة بن البراء رضي الله عنهما ، لما لقي النبي ﷺ ، فجعل يلصق برسول الله ﷺ ، ويقبل قدميه ، قال : يا رسول الله ، مرني بما أحببت ، ولا أعصي لك أمرا !

فعجب لذلك النبي ﷺ ، وهو غلام ، فقال له عند ذلك :

« اذهب فاقتل أباك » .

فخرج مولّياً ليفعل ، فدعاه ، فقال له :

أقبِل ، فاني لم أُبعَث بقطيعة رحم .

فمرض طلحة بعد ذلك ، فأتاه النبي ﷺ يعوده في

---

(١) الطبراني .

الشتاء في برد وغيم ، فلما انصرف قال لأهله :

لا أرى طلحة إلا قد حدث فيه الموت . فآذنوني - أي فأعلموني - به حتى أشهده وأصلي عليه ، وعجّلوه .

فلم يبلغ النبي ﷺ بني سالم بن عوف ، حتى توفي طلحة ، وجَنّ عليه الليل . فكان فيما قال طلحة :

ادفنوني ، وألحقوني بربي عز وجل ، ولا تدعوا رسول الله ﷺ ، فاني أخاف عليه اليهود ، أن يصاب فيَّ بسببي .

فأخبر النبي ﷺ حين أصبح ، فجاء حتى وقف على قبره ، فصف الناس معه ، ثم رفع يديه فقال :

اللهم الق طلحة تضحك إليه ، ويضحك إليك (١).

---

(١) الطبراني .

صفات الرسل

الرسول مبعوث إلى جماعات مختلفة ، فيهم الذكي والغبي ، والعالم والجاهل ، وفيهم الذي ينقاد للحق ، ومن يعاند ويكابر فيه ...

لهذا خص الله الرسول بخلال كريمة ، تساعده في مهمته ، وتعاونه على النجاح في رسالته ، وجمع فيه من حميد الأخلاق ما لم يجتمع في سائر الناس .

فمن تلك الصفات التي لا بد من وجودها مجتمعة في كل رسول ما يأتي :

أولا - الصدق :

فيستحيل على الرسول أن يكذب ، لأن الله تعالى أيّده بالمعجزات التي تدلّ على صدقه ، والله تعالى لا يؤيد الكذاب ، ولا ينصره ، ولو جاز أن يكون الرسول كاذباً ما أمرنا الله تعالى باتّباعه .

قال الله تعالى : لقد كان لكم في رسول الله أسوة

حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر (١) . . .

ثانياً - الامانة :

وهي صفة تشمل كثيراً من الفضائل : ككتمان السر ، والمحافظة على حقوق الناس ، وتبليغ الرسالة كاملة كما يريدها الله عز وجل . . . إلى غير ذلك مما يقتضي البعد عن المحرمات والنقائص .

ولو جاز أن يكون الرسول خائنا لغيّر في الشرائع الالهية ، وأفسد الأحكام التي يتلقاها عن الله تعالى ، فيضيع بذلك الغرض من رسالته ، وهو الاصلاح والعمل بأوامر الله وحده ، والله لا يحب المفسدين ، ولا يؤيد الخائنين .

ولكنا رأينا المولى سبحانه وتعالى يؤيـــد الرسل وينصرهم ، فلا بدّ أنهم أمناء حقا ، بعيدون كل البعد عن الخيانة .

---

(١) ٢١ ـ الاحزاب .

قال الله تعالى على لسان رسوله شعيب عليه الصلاة والسلام :

وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب (١) .

ثالثاً - التبليغ :

وهو أن يوصل الرسول ما أمره الله تعالى بتوصيله إلى الناس من الشرائع والأحكام، ولولا هذه الصفة ما كان هناك نفع من اختياره للرسالة .

والتبليغ نوع من الأمانة ، فاذا لم توجد الأمانة لم يوجد التبليغ ، ولكنه يذكر في صفات الرسل منفرداً لجليل أثره وعظيم شأنه .

قال الله تعالى : ما على الرسول إلا البلاغ (٢) ...

---

(١) ٨٨ ـ هود .   (٢) ٩٩ ـ المائدة .

رابعاً ـ الفطانة :

وذلك بأن يكون الرسول ذكياً يدرك ما يحيط به من الأمور إدراكاً سريعاً ، ويتصرف فيـــه على حسب ما يقضي به العقل الحكيم الأكمل .

والفطانة تقتضي بأن يكون الرسول قادراً على إقناع من يخاطبهم من أهل الانصاف ، وإزالة الشك والشبهة من نفوسهم ، لهذا استحال عليه البَلَه والغباوة .

ـ انظر إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى :

ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك ، إذ قال إبراهيم : ربيَ الذي يحيي ويميت .

قال : أنا أحيي وأميت .

قال إبراهيم : فان الله يأتي بالشمس من المشرق ، فأتِ بها من المغرب .

فبُهِت الذي كفر . والله لا يهدي القوم الظالمين[1] .

---

(١) ٢٥٨ ـ البقرة .

- وفي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال :

لا عدوى - أي مؤثرة بذاتها - ولا صفر ، ولا هامة (١) .

فقال أعرابي : يا رسول الله ، فما بال الابل تكون في الرمل كأنها الظباء ، فيجيء البعير الأجرب ، فيدخل فيها ، فيُجْرِبها ؟

قال : فمن أعدى الأول (٢) ؟

جواب في غاية الابداع والاقناع ، وفيه دلالة عظمى على شدة ذكاء الرسول ﷺ ، وفطانته ، وحضور بديهته .

ومثل هذا كثير في حياة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم مع أقوامهم ، ولا عجب في ذلك ، لأن الله تعالى

---

(١) الهامة بالتخفيف : كان العرب في الجاهلية يزعمون أنها دابة تخرج من رأس القتيل ، أو تولد من دمه ، فلا تزال تصيح ، حتى يؤخذ بثأره ، وقد نفاها الرسول صلى الله عليه وسلم وكذبها .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

هو الذي اصطفاهم واختارهم لتبليغ رسالاته ، فوهبهم من الخصائص ما وهبهم :

قال الله تعالى : الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس (١) ...

وقال عز وجل : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم (٢) .

ما يجوز في حق الرسل

الرسل عليهم الصلاة والسلام فيما عدا ما قدمناه من الصفات الجليلة كسائر الناس ، يعتريهم ما يعتري غيرهم :

يأكلون ويشربون ويتزوّجون وينامون وينسون فيما لا علاقة له بتبليغ الأحكام ، وكذلك يمرضون ، وتمتد اليهم أيدي الأعداء والظلمة ، وينالهم الاضطهاد والأذى ، وقد يُقتَلون .

---

(١) ٧٥ ـ الحج .   (٢) ٤ ـ الجمعة .

قال الله تعالى منددّاً على الكافرين :

وقالوا : ما لهـذا الرسول يأكل الطعـــام ويمشي في الأسواق (١) ؟ !

وقال عز وجل : ولقد أرسلنـا رسـلاً من قبلك ، وجعلنا لهم أزواجاً وذرية (٢) . . .

وقال سبحـانه : قل : إنمـا أنا بشر مثلـكم يوحى إليّ (٣) . . .

وقال تعالى : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفئن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم (٤) ؟ . .

طاعة الرسل توصل الى الجنة ، وعصيانهم يؤدي الى النار

قال الله تعالى : ومن يطع الله ورسوله يدخله جناتٍ

---

(١) ٧ ـ الفرقان .
(٢) ٣٨ ـ الرعد .
(٣) ١١٠ ـ الكهف .
(٤) ١٤٤ ـ آل عمران .

تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم .

ومن يعصِ الله ورسوله ، ويتعدَّ حدوده ، يدخلْه ناراً خالداً فيها ، وله عذاب مُهين (١) .

تكذيب الرسل دَيْدَن المترَفين ، والطغاة الجاهلين

قال الله تعالى : وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا بما أُرسلتم به كافرون (٢) .

كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا : ساحرٌ أو مجنون . أتواصَوا به ؟ بل هم قوم طاغون(٣) .

ثم أرسلنا رسلنا تترى ـ أي متتابعين ـ كلما جاء أمةً رسولُها كذَّبوه (٤) . . .

ـ وفي حديث هرقل مع أبي سفيان حين سأله عن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) ١٣ ـ النساء .
(٢) ٣٨ ـ سبأ .
(٣) ٥٢ ـ الذاريات .
(٤) ٤٤ ـ المؤمنون .

هل يتّبعه زعماء الناس أم ضعفاؤهم ؟

قال : بل ضعفاؤهم .

قال هرقل : وهم أتباع الرسل (١) . . .

وذلك من بدهيات الأمور ، فان الزعيم الآمر الناهي ، المطاع في عشيرته ، يشق عليه أن يزهد بزعامته وطاعة قومه إياه ، ثم يلقي بمقاليد نفسه لنبي يأمره وينهاه ، وهو مكلّف أن يطيعه في أمره ونهيه .

ولهذا السبب كان تخلّف أكثر المتزعمين في الجاهلية عن الاسلام ، أو تأخرهم عن الاستجابة له . ما منعهم أن يؤمنوا إلا العناد والمكابرة والكبر . . .

قال النضر بن الحارث لقومه مرة ، وهو من ألدّ أعداء الرسول ﷺ :

لقد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً ، أصدقكم لهجة وأعظمكم أمانة ، حتى إذا جاءكم بما جاءكم به ، ورأيتم في صدغيه الشيب ، قلتم : ساحر ، والله ما هو بساحر .

---

(١) البخاري .

النصر للرسل

قال الله تعالى : حتى إذا استيئس الرسل ، وظنوا أنهم قد كذبوا ، جاءهم نصرنا (١) ...

وقال عز وجل : كتب الله لأغلبنَّ أنا ورسلي ، إن الله قويٌّ عزيز (٢) .

وفي حديث هرقل مع أبي سفيان ، قال هرقل : وهل قاتلتموه ؟

قال : نعم .

قال : وكيف كان قتالكم إياه ؟

قال : تكون الحرب بيننا وبينه سجالاً : يصيب منا ونصيب منه .

قال هرقل : وكذلك الرسل تُبتلى ، ثم تكون العاقبة لهم (٣) ...

---

(١) ١١٠ ـ يوسف . (٢) ٢١ ـ المجادلة .
(٣) البخاري .

التحذير من مخالفة الرسل

قال الله تعالى : فليحذر الذين يخالفون عن أمره ، أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (١) .

وقال عز وجل : ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتّبعْ غير سبيل المؤمنين ، نُولّه ما تولّى ونُصْلِه جهنم ، وساءت مصيرا (٢) .

وقال جل شأنه : وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، واحذروا ، فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين(٣).

الندامة للمكذبين يوم القيامة

قال الله تعالى : ويوم يَعَضُّ الظالم على يديه ، يقول : يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا (٤) !

---

(١) ٦٣ ـ النور . (٢) ١١٥ ـ النساء .
(٣) ٩٢ ـ المائدة . (٤) ٢٧ ـ الفرقان .

وقال تعالى في شأن الكافرين المكذبين : يوم تُقلَّب وجوههم في النار ، يقولون : يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (١) .

وقال جل شأنه مخاطباً نبينا ﷺ : فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ؟

يومئذ يود الذين كفروا وعصَوُا الرسول لو تُسوَّى بهم الأرض ، ولا يكتمون الله حديثا (٢) .

يُسأل الناس يوم القيامة عن رسلهم

للناس يوم القيامة موقف بين يدي ربهم عز وجل ، يسألهم فيه عن رسلهم . وما قالوا لهم وما أجابوا ، تمهيدا للنكال والعذاب ، كما يسأل الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلامُ عن ذلك تكريماً لهم ، واعتناء بهم .

قال الله تعالى : فلنسألنّ الذين أُرسل إليهم ،

---

(١) ٦٦ ـ الأحزاب . (٢) ٤١ ـ النساء .

ولنسألن المرسلين (١) .

وقال عز وجل : يوم يجمع الله الرسل ، فيقول : ماذا أُجبتم (٢) ؟ . . .



(١) ٦ ـ الأعراف . (٢) ١٠٩ ـ المائدة .

الوحي

يقصد بالوحي الأمور التي أرسلها الله إلى أنبيائه ورسله .

قال الله تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ؛ وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبورا (١) .

أقسام الوحي

والوحي أنواع بيّنها القرآن الكريم في قوله تعالى :

وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولاً فيوحيَ باذنه ما يشاء (٢) .

فهذه الآية الشريفة تدلّ على أن طُرق إعلام الله ما يشاء لأنبيائه ورسله ثلاثة :

---

(١) ١٦٣ ـ النساء . (٢) ٥١ ـ الشورى .

١ ـ أحدها : الاعلام بلا واسطة ، وذلك أن يلهم النبي ما يريد الله تعالى أن يبلغه الناس . والرؤيا الصالحة من هذا القسم .

وقد وقع ذلك لابراهيم عليه الصلاة والسلام : فقد رأى في المنام أنه يذبح ولده إسماعيل ، فلما استيقظ علم أنه مأمور بذلك ، ولما همَّ بتنفيذ أمره تعالى ، أكرمه ورحمه ورحم ابنه بالفداء .

قال الله تعالى : فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعي قال :

يا بني ، إني أرى في المنام أني أذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟

قال : يا أبتِ افعل ما تؤمر ، ستجدني إن شاء الله من الصابرين .

فلما أسلما ، وتلَّه للجبين ـ أي أضجعه ـ وناديناه :

أنْ يا إبراهيم قد صدّقتَ الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين .

إن هذا لهو البلاء المبين .

وفديناه بذبح عظيم (١) .

وكانت الرؤيا الصالحة أول وحي نبينا محمد ﷺ .

في الحديث الشريف : إن أول ما بُدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلَق الصبح ـ أي كضوئه ـ (٢) .

٢ ـ وأما النوع الثاني : فهو ما يظهر فيه للنبي شيء تتجه إليه روحه تمام التوجّه ، وتنقطع عن الشواغل الكونية ، فيكون هذا الشيء حجاباً بين عالم الشهادة وعالم الغيب ، فيسمع من وراء هذا الحجاب .

ومن ذلك النار التي رآها موسى عليه الصلاة والسلام فطار إليها لبّه ، وتعلّق بها قلبه ، وانحصرت فيها همته ، فكان منها رسالته :

---

(١) ١٠١ ـ ١٠٧ ـ الصافات .

(٢) البخاري ومسلم .

وهل أتاك حديث موسى ؟ إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا ، إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس ، أو أجد على النار هدى .

فلما أتاها نودي : يا موسى ، إني أنا ربك فاخلع نعليك ، إنك بالواد المقدس طوى .

وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى(١) .

٣ ـ وأما النوع الثالث : فهو التلقي عن الله تعالى بواسطة الملك المسمى : بالروح الأمين . وهو المعبَّر عنه في الآية السابقة بقوله تعالى :

« أو يرسلَ رسولاً فيوحيَ باذنه ما يشاء » .

والمعبَّر عنه في قوله تعالى :

نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين (٢) .

ومن هذا النوع وحي القرآن الكريم إلى النبي ﷺ .

---

(١) ٩ ـ ١٣ ـ طه . (٢) ١٩٣ ـ الشعراء .

سئل النبي ﷺ : كيف يأتيك الوحي ؟

فقال رسول الله ﷺ : أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليَّ ، فيُفصَم عني ـ أي ينفصل عني ويذهب ـ وقـد وعيت عنه ما قال . وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً ، فيكلمني فأعي ما يقول .

قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيُفصَم عنه ، وإن جبينه ليتفصّد عرقا (١) .

ظاهرة الوحي

إن من أعداء الاسلام من يحاول تأويل ظاهرة الوحي ، وتحريفها عما يرويه لنا المؤرخون ، وما جاء عنها في الأحاديث النبوية الصحيحة . ويروح هؤلاء الاعـداء

---

(١) البخاري ومسلم .

المغرضون المحرّفون في مسالك عوجاء ، تسوقهم فيها أخيلتهم الواهمة الماكرة .

فمن متصوّرٍ بأن محمداً عليه الصلاة والسلام لم يزل يفكّر . . . إلى أن تكوّنت في نفسه ، بطريقة الكشف التدريجي المستمر عقيدة ، كان يراها الكفيلة بالقضاء على الوثنية . . .

ومن مفضّلٍ على ذلك إشاعة القول بأن محمداً ﷺ ، إنما تعلم القرآن ومبادىء الاسلام من « بحيرا » الراهب .

ومن قائلٍ بأن الأمر ليس هذا ولا ذاك ، ولكن محمداً ﷺ كان رجلاً عصبياً ، أو مصاباً بداء الصَرَع ...

وقد سبقهم إلى بعض هذا الجاهليون الأولون :

قال الله تعالى : ولقد نعلم أنهم يقولون : « إنما يعلّمه بشر » . لسان الذي يُلْحدون إليه ـ أي ينسُبون إليه أنه يعلّمه ـ أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين [1] .

---

(١) ١٠٣ ـ النحل .

وقال عز وجل : كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا : ساحر أو مجنون .
أتواصوا به ؟ بل هم قوم طاغون (١) .

ولهذا نفى الله تعالى عن نبينا ﷺ هذا الوصف ، وأقسم على ذلك فقال :

ن ، والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون (٢) .

وإن مما يرد تمحلات أعداء الاسلام على أعقابها ، ويقضي عليها قضاء مبرماً لا قيام لها بعده ، ما يلي :

١ - أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام بعيني رأسه لأول مرة ، ولم يكن الوحي حينئذ من وراء حجاب .

وبهذا يتبين أن ظاهرة الوحي ليست أمراً ذاتياً داخلياً مردّه إلى حديث النفس المجرد ، وإنما هي استقبال وتلقٍ لحقيقة خارجية ، لا علاقة لها بالنفس وداخل الذات ،

---

(١) ٥١ - ٥٣ - الذاريات . (٢) ١ - ٣ - ن .

٢ ـ وقد فزع النبي ﷺ في أول الأمر مما رأى ، ورجع إلى خديجة يرجف فؤاده ، وخشي أن يكون هذا الذي تمثل له في الغار أتياً من الجن .

وفي هذا دليل قاطع ، وبرهان ساطع ، على أن النبي ﷺ لم يكن متطلعا للرسالة ، التي سيدعى إلى حملها ، وتبليغها للناس .

فظاهرة الوحي هذه لم تأتِ منسجمة أو متممة لشيء مما قد كان يتصوره أو يخطر بباله ، وإنما طرأت طروءاً مفاجئاً دون توقع سابق .

ثم إن شيئاً من حالات الالهام ، أو حديث النفس ، أو الاشراق الروحي ، أو التأملات العلوية ... لا يستدعي الخوف والرعب وامتقاع اللون ورجف الفؤاد ، وليس هناك انسجام بين التفكير في أمر والتأمل فيه ، ومفاجأة الخوف والرعب إذا تحقق وبرز .

٣ ـ ولما فتر الوحي مدة طويلة ، جزع النبي ﷺ لذلك جزعاً عظيما ، حتى إنه كان يحاول ، كما يروي الامام

البخاري ـ أن يتردى من شواهق الجبال .

وصاحب الالهامات النفسية ، والتأملات الفكرية ، لا يمر إلهامه أو تأمله بمثل هذه الأحوال .

. . .

ثم إن استمرار الوحي بعد ذلك يحمل الدلالة نفسها على حقيقة الوحي ، وأنه ليس كما يقول الأعداء المشككون : ظاهرة نفسية محضة .

يؤكد ذلك أن النبي ﷺ ، كان يُسأل عن بعض الأمور ، فلا يجيب عنها ، وربما مرَّ على سكوته زمن طويل ، حتى إذا نزلت آية من القرآن في شأن ذلك السؤال ، طلب السائلَ ، وتلا عليه ما نزل من القرآن في شأن سؤاله .

وربما تصرف الرسول ﷺ في بعض الأمور على وجه معيَّن ، فتنزل آيات من القرآن الكريم ، تصرفه عن ذلك الوجه ، وربما انطوت على عتب أو لوم .

وكان رسول الله ﷺ أمياً . وليس من الممكن أن يعلم إنسان بواسطة المكاشفة النفسية حقائق تاريخية : كقصة يوسف . . . وأم موسى حينما ألقت وليدها في اليم . . . وقصة فرعون . . .

ولعل هذا من أعظم الحكمة في كونه ﷺ أميا .

قال الله تعالى : وما كنتَ تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطُّه بيمينك ، إذاً لارتاب المبطلون (١) .

موجز السيرة المحمدية الشريفة

نسب النبي ﷺ

هو سيدنا أبو القاسم محمد بن عبدالله بن عبد المطلب ابن هاشم ، بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان .

---

(١) ٤٨ ـ العنكبوت .

ونسبه ﷺ ينتهي إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام .

هذا نسبه من جهة أبيه .

وأما نسبه من جهة أمه : فهو ﷺ محمد بن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . . .

وفي هذا الجد يجتمع نسبه من جهة والديه ﷺ .

أدوار حياة الرسول ﷺ

وأدوار حياته ﷺ ثلاثة :

١ ـ من ولادته إلى النبوة .

٢ ـ ومن النبوة إلى الهجرة .

٣ ـ ومن الهجرة إلى الوفاة .

الدور الأول من حياته ﷺ

– ولد ﷺ يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل .

هذا هو المشهور ، لكن حقق بعض المؤرخين أنه ولد ﷺ في يوم الاثنين ليلة التاسع من ربيع الأول سنة ٥٧١ من الميلاد .

وقالوا : هذا هو المعتمد .

وقد ولد ﷺ يتيما ، فقد توفي أبوه وأمه حامل به ، وأرضعته حليمة السعدية ، وذلك أنه كان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم في البوادي ، ليكون أنجب للولد .

– وفي السنة السادسة من عمره ﷺ ، أخرجته أمه إلى أخواله في المدينة ، فتوفيت بالابواء – قرية بين مكة والمدينة ، وهي إلى المدينة أقرب – .

فحضنته أم أيمن ، وكفله جده عبد المطلب ، ورق

له رقة لم تُعهد له في ولده ، لما كان يظهر عليه ، مما يدل على أن له شأناً عظيماً في المستقبل .

وبعد سنتين من كفالته ، توفي جده ، فكفله عمه أبو طالب .

ـ وفي السنة التاسعة سافر إلى الشام السفرة الأولى مع عمه أبي طالب .

ـ وفي سنة عشرين حضر حرب الفجار . وهي حرب كانت بين قريش وحلفائها ، وبين قيس وحلفائها ، وكادت الدائرة فيها تدور على قيس ، لولا أن حصل الصلح بينهما .

ـ وفي سنة خمس وعشرين سافر إلى الشام السفرة الثانية ، بتجارة لخديجة بنت خويلد ، وقد اختارته لذلك ، لما سمعت عنه من الأمانة والصدق وغيرهما من الصفات الجليلة ، التي جبل عليها منذ حداثته ، حتى سماه قومه : الأمين .

وفي هذه السنة تزوج بخديجة بعد رجوعه من الشام . وهي التي خطبته لنفسها ، ولها من العمر إذ ذاك أربعون سنة .

ـ وفي سنة خمس وثلاثين جاء سيل جارف ، فصدّع جدران الكعبة ، فعزمت قريش على هدمها وتجديد بنائها .

وقد شهد الرسول ﷺ بناءها ، وعمل فيها .

وجعل الأشراف من قريش يحملون الحجارة على أعناقهم ، وكان الرسول وعمه العباس فيمن يحمل . وكان ﷺ مؤتزرا ، فقال له العباس :

اجعل إزارك على عاتقك فوق عنقك .

ففعل ﷺ ، فبدت سوءته ، فسقط على الأرض ، فضمه عمه إليه وقال :

ما الذي أصابك ؟ !

قال : سمعت صوتاً شديداً أنْ شُدَّ عليك إزارك .

وهذا من حسن رعاية الله تعالى إياه في شبابه قبل النبوة .

ورضيت قريش بحكمه عند اختلافهم فيمن يضع الحجر الأسود في مكانه ، حتى كادوا يقتتلون لذلك ، ففصل هذا المشكل العظيم الرسول الأعظم ﷺ ، فانه بسط رداءه وقال :

لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب .

ثم وضع الحجر فيه ، وأمرهم برفعه حتى انتهوا إلى موضعه ، فأخذه ﷺ ووضعه في مكانه .

ـ ولما كان في الأربعين من عمره ، أكرمه الله تعالى بالنبوة والرسالة .

الدور الثاني من حياته ﷺ

ـ ولما بلغ النبي ﷺ أربعين سنة ، أكرمه الله تعالى لرسالته ، وأنزل عليه الروح الأمين جبريل عليه السلام ، وهو في غار حراء ، ليعلمه كيف يهدي قومه ، والناس أجمعين ، فصدع بما أُمر ، وبلّغ ما أنزل إليه من ربه ، وكانت الدعوة سرا ، فكان أول من آمن به من الرجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ومن النساء زوجته خديجة رضي الله عنها ، ومن الصبيان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

ثم أمره الله تعالى بالجهر في الدعوة بقوله تعالى :

فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين (١) .

فلبّى داعي الله ، ودعا الناس إلى عبادة الله وحده ، فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة .

وقد لاقى من أجل ذلك أذى عظيما من قومه : كالرمي بالحجارة ، ورمي الأقذار على بابه ، وعزمهم على قتله وخنقه ، إلى غير ذلك مما يحمرُّ له وجه الانسانية خجلا .

وقد استمروا على أذاه ، واستمر هو على الصبر ، إلى أن صرع الحق الباطل « إن الباطل كان زهوقا (٢) » .

– وفي السنة الخامسة من النبوة ، أمر الرسول ﷺ اصحابه بالهجرة إلى الحبشة ، وذلك أن الأذى لم يكن قاصراً عليه ، بل تناول أصحابه لاتباعهم إياه ، فهاجر ناس منهم فراراً بدينهم ، وهي أول هجرة من مكة ، ثم رجعوا بعد ثلاثة أشهر .

وفي ذلك الوقت أسلم حمزة عم الرسول ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وكان في إسلامهما للمسلمين

---

(١) ٩٤ – سورة الحجر . (٢) ٨١ – الاسراء .

عزة وقوة .

ـ وفي السنة السابعة كان دخول النبي ﷺ الشعب مع عمه أبي طالب ، وبني هاشم والمطلب ، وذلك عندما همت قريش بقتله .

فلما علمت قريش بدخولهم الشعب ، أجمعوا على منابذتهم ، وأن لا يقبلوا لهم صلحا أبدا . وقطعوا عنهم الأسواق ومنعوهم الرزق ، إلا أن يسلموا محمداً للقتل . وكتبوا بذلك صحيفة تتضمن التضييق عليهم في كل شيء ، وعلّقوها في جوف الكعبة .

وبعد دخول الرسول شعب أبي طالب ، أمر الصحابة بالهجرة إلى الحبشة ، وهي الهجرة الثانية .

ـ وفي السنة العاشرة قام رجال من قريش بنقض الصحيفة ، فخرج الرسول ومن معه ، بعد أن مكثوا في الشعب قريباً من ثلاث سنوات ، في شدة الجهد والجوع ، لا يصل إليهم شيء إلا سرا ، حتى إنهم أكلوا أوراق الشجر .

ـ وفي هذه السنة وفد عليه وفد من نصارى نجران فأسلموا .

وفيها توفيت خديجـة زوج الرسول ﷺ ، وبعد وفاتها بنحو شهرين توفي عمه أبو طالب ، وكان يدرأ عنه الأعداء ، ويدفع عنه الالداء ، ويمنعه ممن يريد أذاه .

وبعد وفاته نالت قريش من الرسول ﷺ ما لم تقدر عليه من قبل ، واشتد أذاهم له ، وتعصبهم عليه .

فلمـا رأى ذلك هاجر إلى الطائف ، فان فيـــه أخواله بني ثقيف ، ليعينوه على قومه ، ويساعدوه حتى يتم أمر ربه ، وكان معه زيد بن حارثة رضي الله عنه .

فأقام بالطائف شهرا يدعوهم إلى الله تعالى ، فـــلم يجيبوا ، بل ردوا عليه رداً قبيحاً ، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم ، يسبونه ، ورموه بالحجارة ، حتى اختضبت نعلاه بالدماء ، وكان زيد رضي الله عنه يقيه بنفسه ، حتى أصيب في رأسه بجراحات . . .

فلما اشتد عنادهم ، ولم يؤمنوا به ، رجع الى مكة ودخلها بجوار المطعم بن عدي .

ـ وفي السنة الحادية عشرة ، أكرمه الله تعالى بالاسراء والمعراج :

أما الاسراء فهو سفره ﷺ ليلاً من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى في بيت المقـــدس ، ورجوعه من ليلته .

وأما المعراج فهو صعوده ﷺ إلى العالم العلوي . وفيه فرضت الصلوات الخمس .

بدء انتشار الاسلام

لما رأى الرسول ﷺ أن قريشاً لم تمكنه من تأدية الرسالة ، كان يخرج في مواسم العرب ، ويعرض نفسه على القبائل ، فكان منهم من يرد رداً قبيحاً ، ومنهم من يرد رداً رفيقاً .

وممن عرض نفسه عليهم ، جماعة من عرب المدينة من قبيلة « الأوس » ، فآمن منهم ستة ، كانوا سبب انتشار الاسلام في المدينة ، ثم انصرفوا بعد أن وعدوه بالمقابلة في الموسم المقبل .

فلما كان العام القابل ، لقيه اثنا عشر رجلاً من أهل المدينة ، فآمنوا به وبايعوه على ما أحب ، وهي العقبة الاولى ثم انصرفوا إلى المدينة ، فأظهر الله فيها الاسلام .

ولما كان العام الآتي سنة ثلاث عشرة للنبوة ، وفد على الرسول ﷺ منهم سبعون رجلاً وامرأتان ، فأسلموا وبايعوه عند العقبة ـ وهي العقبة الثانية ـ ثم انصرفوا إلى المدينة ، فانتشر الاسلام فيها بين أهلها رضي الله عنهم .

الدور الثالث من حياته ﷺ

الهجرة الى المدينة

أمر الرسول ﷺ جميع المسلمين بالهجرة الى المدينة لازدياد الاذى عليهم ، فهاجروا فرادى خوفا من أن تمنعهم قريش ، ولم يبقَ في مكة إلا القليل .

أما قريش فلما رأوا ذلك أجمعوا على قتل الرسول

عليه الصلاة والسلام ، فأعلم الله تعالى رسوله ﷺ بما دبره الأعداء من الكيد ، وأمره باللحاق بدار هجرته ، التي ينتشر فيها الاسلام .

فتواعد هو وأبو بكر رضي الله عنه على السفر ، وأعطيا دليلاً ماهراً راحلتين ، وأمراه أن يجيء بهما بعد ثلاث ليال إلى غار ثور .

فجاء الدليل بالراحلتين ، وساروا قاصدين إلى المدينة فوصلوا قباء يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .

وكان التاريخ من ذلك الوقت ، ثم رُدَّ إلى المحرم[1] .

- وقد بني رسول الله ﷺ وهو في قباء مسجدها .

ثم خرج منها بعد أن أقام فيها اثنتين وعشرين ليلة .

وفي الطريق أدركته الجمعة ، فصلاها بمن معه من المسلمين ، وكانوا مئة ، وهي أول جمعة صلاها .

ثم ركب الرسول ﷺ بعد الجمعة ، وتوجه إلى

---

(١) ينبغي لكل مسلم أن يعتني بهذا التاريخ الاسلامي المبارك فيؤرخ به مهام أموره ورسائله وكتبه وسائر معاملاته .

المدينة ، والأنصار محيطون به ، وهم متقلدون سيوفهم .
وهنا حدّث عن سرور أهل المدينة ولا حرج .

السنة الاولى للهجرة

فيها بنى الرسول ﷺ مسجده الشريف .
وفيها شرع الاذان ، ليجتمع الناس متى حان وقت الصلاة .
ولما رأت اليهود رسوخ قدم المسلمين في المدينة ، هاجتهم العداوة والحسد ، فتحزبوا على المسلمين ، وظهرت عداوتهم .
وفي هذه السنة شُرع القتال ، وذلك في قوله تعالى :
أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير .
الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، إلا أن يقولوا : ربنا الله [١] . . .

---

(١) ٣٩ ـ الحج .

السنة الثانية

فيها تحولت القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة المعظمة بعد أن مكث المسلمون يتوجهون إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا .

وفي شهر شعبان من هذه السنة فرض صوم رمضان وأوجبت زكات الفطر ، وفيها أيضاً فرض الله تعالى على الأغنياء الزكاة .

وفي هذه السنة وقعت غزوة بدر الكبرى ، التي كتب الله فيها النصر المؤزّر للمسلمين ، ودارت فيها الدائرة على قريش ، فانهزموا تاركين في ساحة الحرب سبعين رجلاً قتيلا ، وسبعون أسيرا ، وغنم المسلمون غنائم عظيمة ، وكان هذا اليوم هو يوم الفرقان الذي أعز الله به الاسلام .

وقتل من المسلمين اثنا عشر رجلا ، ثم رجعوا إلى المدينة فرحين مسرورين بهذا النصر العظيم ، الذي امتن الله تعالى به على المسلمين بقوله :

ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلةٌ (١) .

---

(١) ١٢٣ ـ آل عمران

وفي هذه السنة شرعت صلاة العيد .

وفيها تزوج عليّ بفاطمة رضي الله عنها ، وكان منها ذرية الرسول ﷺ .

وفيها دخل النبي ﷺ بعائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

السنة الثالثة

في هذه السنة كانت غزوة أحد .

وفيها تزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه « أم كلثوم » بنت الرسول ﷺ بعد موت أختها « رُقَيّة » ولهذا سمي : ذا النورين .

وفيها تزوج الرسول ﷺ « حفصة » بنت عمر بن الخطاب و « زينب » بنت خزيمة رضي الله عنهم .

وفيها ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما .

وفي هذه السنة حرّم الله تعالى الخمر تحريما قاطعا .

السنة الرابعة

في هذه السنة توفيت « زينب » بنت خزيمة زوجة الرسول ﷺ .

وفيها ولد الحسين بن علي رضي الله عنهما .

وفيها تزوج الرسول ﷺ « أم سلمة » رضي الله عنها .

السنة الخامسة

في هذه السنة وقعت غزوة الخندق ـ وهي الأحزاب ـ

وفيها أبطلت عادة التبني ، وتزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنها .

وفيها نزلت آية الحجاب .

وفيها فرض الحج على من استطاع إليه سبيلا .

السنة السادسة

في هذه السنة كان صلح الحديبية بعد بيعة الرضوان .

وفيها راسل النبي ﷺ الملوك ، ودعاهم إلى الاسلام .

السنة السابعة

في هذه السنة كانت غزوة خيبر .

وفيها كانت عمرة القضاء .

وفيها أسلم « خالد بن الوليد » و « عمرو بن العاص » و « عثمان بن أبي طلحة » بعد أن كانوا قادة الجيوش ضد المسلمين .

وفيها تزوج الرسول ﷺ « صفية بنت حُيَيّ » وتزوج « ميمونة بنت الحارث » وهي آخر نسائه زواجا .

السنة الثامنة

في هذه السنة كانت وقعة « مؤتة » .

وفي رمضان من هذه السنة كانت غزوة « الفتح » الأعظم فتح مكة .

وبهذا الفتح دانت للاسلام جموع الشرك ، وانحلت

عراهم ، ووهنت قواهم ، وأذهب الله تعالى ظلامهم ببزوغ شمس الاسلام على ربوعهم .

وفيها كانت غزوة « حنين » وغزوة « الطائف »

السنة التاسعة

في هذه السنة كانت غزوة « تبوك » وهي غزوة العسرة .

وفيها وفد على الرسول ﷺ وفد من ثقيف فاسلموا ودعوا قومهم أهل الطائف فأجابوا .

وفي ذي القعدة من هذه السنة أمر الرسول ﷺ أبا بكر رضي الله عنه أن يحج بالناس .

وفيها توفي « عبد الله بن أبيّ » رئيس المنافقين ، فاستراح المسلمون من شرور كان يهيجها عليهم .

وفيها توفيت « أم كلثوم » بنت الرسول ﷺ ، وزوج « عثمان بن عفان » رضي الله عنها .

السنة العاشرة

في هذه السنة أرسل النبي ﷺ بعثات إلى اليمن ، ليعلموهم شرائع الاسلام .

وفيها حج الرسول ﷺ الحجة التي تعرف « بحجة الوداع » وفي التاسع من ذي الحجة ، وكان يوم جمعة توجه إلى عرفة ، وفيها خطب خطبته التي تعرف بخطبة الوداع ، بيَّن فيها أهم أصول الدين وفروعه .

وفي هذا اليوم نزل قوله تعالى :

اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا (١) .

وفي هذه السنة كثرت الوفود على الرسول ﷺ ، فأسلم كثير من قبائل العرب ، عن طيب نفس ، إذعاناً لله تعالى وخضوعاً لدينه .

---

(١) المائدة ـ ٣ .

السنة الحادية عشرة

في هذه السنة مرض رسول الله ﷺ ، ولما كان يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، الذي هو تتمة عشر سنين للهجرة ، فارق الرسول ﷺ دنياه ، ولحق بمولاه ، واختار الرفيق الأعلى على زهرة الحياة الدنيا ، بعد أن بَلَّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وجاهد في الله حق جهاده ، فجزاه الله خير ما جزى نبياً عن قومه ، ورسولاً عن أمته .

توفي ﷺ بعد أن ترك للمسلمين ذخرين عظيمين ، لا يضرهم شيء ما تمسكوا بهما :

الأول ـ كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

الثاني ـ ما حفظه عنه الثقات من الأحاديث التي كانت تشريعاً وتبييناً للأحكام ، وتوضيحاً لمقاصد القرآن الكريم .

خلاصة :

عاش الرسول ﷺ ثلاثاً وستين سنة :
قضى منها أربعين سنة قبل النبوة .
وثلاث عشرة سنة في مكة بعد النبوة .
وعشر سنين في المدينة بعد الهجرة .

وقد اتفق أن يوم ولادته ، ويوم هجرته ، ويوم وفاته ، هو يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الأول ، على المشهور .

صلى الله عليه وسلم ، وجعلنا ممن يرد حوضه ، وينال مرافقته في أعلى عليين ، ونحمده تعالى أن جعلنا من أمته ، ونسأله أن يرشدنا إلى العمل بمقتضى شريعته ، والتمسك بسنته ، ويثبّتنا على هدايته ، ويتوفانا على ملّته ، ويغنينا سبحانه وتعالى برحمته في الدنيا والآخرة ، إنه سميع مجيب .

أولاده ﷺ

أما أبناء الرسول ﷺ فثلاثة ، وهم :

القاسم ، وإبراهيم ، وعبد الله ، وهو الملقب بالطيب والطاهر .

وأما بناته فأربع ، وهن :

زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة الزهراء .

أما ترتيبهم حسب الولادة : فالقاسم ، ثم زينب ، ثم رقية ، ثم فاطمة ، ثم أم كلثوم ، ثم عبدالله ، ثم إبراهيم .

وكل أولاده من خديجة رضي الله عنها ، إلا إبراهيم ، فانه من مارية القبطية .

وكلهم ولدوا قبل النبوة إلا فاطمة فبعد النبوة بسنة واحدة ، وإلا إبراهيم ، فانه ولد في السنة الثامنة من الهجرة .

وكلهم ماتوا قبله ، إلا فاطمة رضي الله عنها ، فانها عاشت بعده ستة أشهر .

زوجاته وسراريه الطاهرات

زوجاته ﷺ إحدى عشرة امرأة :

ست من قريش ، وهن :

خديجة بنت خويلد ، ولم يتزوج غيرها إلا بعد وفاتها ، وعائشة بنت أبي بكر الصديق ، وحفصة بنت عمر ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وأم سَلَمَة هند بنت أبي أمية ، وسودة بنت زمعة .

وأربع عربيات ، وهن :

زينب بنت جحش ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت خزيمة الهلالية ، وتعرف بأم المساكين ، وجُوَيرية بنت الحارث .

وواحدة من بني إسرائيل ، وهي : صفية بنت حُيَيٍّ .

ومات منهن عنده اثنتان ، وهما : خديجة وزينب أم المساكين .

وتوفي ﷺ عن تسع نسوة ، رضي الله عنهن أجمعين .

وأما سراريه ﷺ فأربع ، وهن :

مارية القبطية أم إبراهيم ابن النبي ﷺ ، وريحانة ونفيسة وزليخا .

من الحكمة في تعدد زوجاته ﷺ

الحكمة الأولى :

من الحكمة في تعدد زوجاته ﷺ ، أنهن يروين عنه الأحكام الخاصة بالنساء في شريعته ، ويعلمنهن مالا يستطعن تعلمه من الرجال ، لأن رسول ﷺ جاء بشريعة شاملة لمصالح الدنيا والآخرة ، وأحكامها على ثلاثة أنواع :

١ ـ النوع الأول : أحكام يشترك فيها الرجال والنساء ، وهي التكاليف العامة التي تشمل الذكور والاناث : كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأحكام الحلال والحرام في المأكل والمشرب والملبس ، والعقود على اختلاف أنواعها . . .

٢ ـ والنوع الثاني : أحكام خاصة بالرجال ، لا يشاركهم

فيها النساء : كالامامة والقضاء والجهاد . . .

٣ ـ والنوع الثالث : أحكام خاصة بالنساء ، لا يشاركهن الرجال فيها ، وذلك : كالحيض والنفاس والرضاع والحضانة...

فأما القسمان الأولان ، فكان الرسول ﷺ يبسط أحكامها في أصحابه .

وأما القسم الثالث : فكثير من أحكامه كان يستحي الرسول ﷺ من مواجهة النساء بصريح القول ، مع ما جُبل عليه من الحياء .

فكان لابد من تعدد الأزواج ، ليعلمن نساء المسلمين ما يحتجن إليه من تلك الأحكام ، التي كان كثير منهن يستحي من سؤال الرسول ﷺ عنها ، وكان هو يستحي من التصريح بحكمها . والزوجات المتعددات أجدر أن يعرفن جميع أحوال النساء ، وما شرع فيها من الأحكام ، فيرشدنهن إليها .

فكان تعدد أزواجه ﷺ أمراً اقتضته الحكمة الالهية لذلك الغرض النبيل .

الحكمة الثانية :

ومن الحكمة من ذلك تأليف قبائل العرب ، وتكثير الأشياع والأنصار ، فان المصاهرة من أهم الدواعي لتأليف قلوب العرب ، ولمّ شعثهم .

ولهذا أباح الله تعالى لنبيه ﷺ كثرة الأزواج من قبائل شتى ، وطوائف متعددة ، تحقيقاً لهذا الغرض السامي .

الحكمة الثالثة

ومن الحكمة في تعدد زوجاته ﷺ ، نقل أخلاقه المنزلية للناس ، وخصوصاً أحواله التي كانت له في بيته وعبادته في الأوقات التي لايخالط فيها أحداً من الناس غيرهن .

وأكثر ما روي من أحواله ﷺ ، وخصوصاً في عشرة الأزواج ، كان من طريق أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، ولم يطلع أحد من الرجال على شيء من ذلك إلا قليل ، كابن عباس رضي الله عنه ، لانه كان يبيت في بعض الليالي عند خالته السيدة ميمونة أم المؤمنين رضي الله

عنها . فكان يشاهد بعض أحواله ﷺ في عبادته ليلاً ويرويها عنه .

وما عدا ذلك كانت أمهات المؤمنين يبلغنه للناس ، ليسيروا على سيره ، ويحذوا حَذْوَه ، ولولاهن رضي الله عنهن لخفي على الأمة كثير من عادات الرسول ﷺ ، وعبادته وأخلاقه التي كانت تصدر عنه في داخل بيته .

فمن الحكمة في إباحة كثرة زوجاته ﷺ نشر أخباره وأعماله للملأ تعليماً لهم ، ليسيروا على خطة الشريعة الغراء .

الحكمة الرابعة :

أشاع عن الرسول ﷺ بعض أعدائه أنه ساحر دجال ، والساحر الدجال لا يستقر على حال من الأحوال ، فاذا كان كذلك ، لابد أن يظهر بشيء من ذلك مع نسائه ، لأن عادة الله تعالى جرت في خلقه ، أن الانسان ، وخصوصاً المرأة ، إذا رأت شيئاً لا تسكت عما تشاهد ، ولا سيما إذا كان غريبا . فما بالك بالنساء الكثيرات ؟ !

وقد نقل إلينا بالتواتر ، أن زوجاته الكثيرات ، لم

ينقلن عنه إلا العلم والحكمة والعبادات الكثيرة ، والفضائل الجليلة .

هذا ، ولتزوجه ﷺ بكل واحدة من زوجاته بعد ذلك حكمة خاصة ، وإليك بيانها :

أما تزوجه بخديجة رضي الله عنها ، التي هي أول زوجة له ، فلما لها من الشرف في قومها ، والمكانة العالية في عشيرتها ، لذلك خطبها وتزوج بها .

وأما تزوجه بسودة رضي الله عنها ، فلما توفي زوجها بعد الرجوع من الحبشة ، كان من الحكمة أن يكفلها ﷺ ، لأنها لو رجعت إلى أهلها بعد وفاة زوجها ، لفتنوها عن دينها ، مع تعذيبها العذاب الشديد .

وأما تزوجه بعائشة رضي الله عنها ، فاكرام لأبيها ، وهو صاحبه الذي قال فيه :

ما دعوت أحداً إلى الاسلام إلا كانت له كبوة غير أبو بكر (١) .

---

(١) ابن إسحاق .

وهو الذي أنفق ماله حباً بالله تعالى ، ورسوله ﷺ.

وأما زواجه بزينب بنت جحش رضي الله عنها ، فالحكمة فيه تشريعية ، وهي إبطال عادة التبني ، التي كانت شائعة في الجاهلية ، لأن العرب كانت تحرّم زوجة المتبنّى على من تبنّاه . ولهذا أمره الله تعالى بالتزوج منها ، وصارت تدعى : أم المؤمنين .

وأما زواجه بحفصة رضي الله عنها ، فالحكمة فيه هي الحكمة في زواجه من عائشة رضي الله عنها ، وهي إقرار عين أبيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشرف المصاهرة ، وإكراماً لها أيضاً ، لأنها تأيمت من زوجها في وقعة بدر .

وأما زواجه بجُوَيرية التي تدعى بَرة بنت الحارث رضي الله عنها ، فلأن قومها كانوا أسرى عند المسلمين ، فأعتقوهم إكراماً لهذا التزوج ، وكان ذلك سبباً في إسلامهم جميعاً ، وصاروا عوناً للمسلمين ، بعد ما كانوا من أشد أعدائهم .

وأما زواجه بزينب رضي الله عنها ، فلما رآه من

عظيم فضلها ، فكافأها على ذلك بعد مصابها بزوجها .

وأما زواجه بأم سلمة ، فلأن أبا بكر رضي الله عنه خطبها لنفسه فأبت ، ثم خطبها عمر رضي الله عنه فأبت ، فقال لها النبي ﷺ :

سلي الله أن يأجرك في مصابك ، ويخلفك خيرا .

قالت : ومن يكون خيراً من أبي سلمة ؟

فرأى النبي ﷺ أن يجبر قلبها ، لأنه علم أنها لا عزاء لها عنه إلا به ، فخطبها وتزوج بها .

وأما زواجه بأم حبيبة رضي الله عنها ، فالحكمة فيه أن قومها كانوا يكرهون بني هاشم كرهاً شديداً ، فاقترن بها تأليفاً لقلوبهم ، لأن المصاهرة من أهم الأسباب التي تدعو إلى التحابّ .

وأما زواجه بميمونة رضي الله عنها ، فالحكمة فيه أنها كانت بنت سيد قومها ، وقد قُتل أبوها من بني قريظة ، وقتل زوجها يوم خيبر ، ووقعت أسيرة في أيدي المسلمين ، فأشار الصحابة على النبي ﷺ أن تكون في حوزته ،

فاستحسن رأيهم ، فأعتقها وتزوجها .

وأما زواجه بميمونة رضي الله عنها ، وهي التي كانت آخر أزواجه ، فالحكمة فيه أنها كانت تنسب إلى بني هاشم وبني مخزوم ، فكان زواجه بها أدعى إلى تأليف قلوب الطائفتين إليه .

وفي ذلك ردّ على أعداء الاسلام الذين يعيبون على النبي ﷺ كثرة أزواجه ، ويزعمون أنه شهواني . إذ لو كان الأمر كذلك ، لاختار الأبكار على الثيبات ، ولكان إقباله على التزوج بهن في سن القوة والشباب ، لا في سن الكهولة وما بعدها .

ومما هو جدير بالذكر أن الآية التي حظرت على النبي ﷺ أن يزيد من عدد الزوجات ، وهي قوله تعالى :

لا يحِلّ لك النساء من بعدُ ولا أن تَبدّل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن (١) ...

نزلت بعد أن انتشر الاسلام ، وتم للنبي ﷺ

(١) ٥٢ ـ الأحزاب .

ما أراد من حكمة الاكثار من الأزواج ، مع أن أصحابه ظلوا أحراراً ، لا يمنعهم شيء من ذلك في حدود الشريعة السمحاء (١) .

أعمام الرسول ﷺ

أبو طالب ، والزبير ، وحمزة ، والمقوّم ، وأبو الفضل العباس ، وضرار ، والحارث ، وقُثَم ، وأبو لهب ، والغيدامه .

ولم يسلم منهم إلا حمزة والعباس رضي الله عنهما .

عماته ﷺ

صفية – أم الزبير بن العوّام – وعاتكة ، والبيضاء ، – وهي أم حكيم – وبَرّة ، وأميمة ، وأروى .

وأسلم منهن صفية ، واختُلف في إسلام عاتكة وأروى .

---

(١) وقد بينا حكمة مشروعية تعدد الزوجات في كتابنا : « من محاسن الاسلام » فارجع إليه إن شئت .

أمه من الرضاع وحاضنته

أما أمه من الرضاع فهي حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية ، وهي التي أرضعته حتى أكملت رضاعه ، وزوجها أبو كبشة .

وأرضعته أيضاً ثُوَيبة جارية أبي لهب ، وهي التي أعتقها أبو لهب عندما بشرته بولادة الرسول ﷺ .

وكانت حاضنته أم أيمن بركة بنت ثعلبة ، أم أسامة ابن زيد بن حارثة رضي الله عنهم .

طرف من شمائله الكريمة ﷺ

من نظر في سيرة نبينا ﷺ وجدها من أعظم الدلائل على أن بين جنبيه ﷺ نفساً بالغة من الكمال ما لا يبلغه الانسان الذي يطلب المعالي بنفسه ، ولو بلغ من العبقرية ما بلغ ، ولُقِنَ من الحكمة ما شاء الله أن يُلَقَّن .

ولقد دوّن العلماء رضي الله عنهم كتباً كثيرة في شمائله وأخلاقه ﷺ ، وذكروا فيها أحواله المتعلقة بعبادته ،

وأمره ونهيه ، ويقظته ، ومنامه ، ومشيه وجلوسه واتكائه ، وصفة طعامه وشرابه ، ومعاشرته لأهله وأصحابه ، ووصفوا فيها سروره وغضبه ، وضحكه وبكاءه ، وصمته ونطقه ، وشجاعته وصبره ، وكرمه وعفوه ، وحياءه وتواضعه ، وثيابه ولبسه ، ووضوءه وغسله ، وعيشه وهديه كله .

فمن ذلك أنه ﷺ كان يتكلم بكلام بيّن فصل ، يحفظه من جلس إليه ، وكان يعيد الكلمة ثلاثاً لتُعقلَ عنه .

وكان طويل الصمت ، لا يتكلم في غير حاجة ، يفتتح الكلام ويختمه باسم الله تعالى ، ويتكلم بجوامع الكلم .

وكان ﷺ لا تغضبه الدنيا ، ولا ما كان لها ، فاذا تُعُدِّيَ الحق ، لم يقم لغضبة شيء ، حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها .

وكان النبي ﷺ أشجع الناس .

قال علي كرم الله وجهه : كنا إذا اشتد البأس ، واحمرت الحَدَق ـ يعني العيون ـ اتقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتنا يوم بدر

ونحن نلوذ بالنبي ﷺ ، وهو أقربنا إلى العدو . وكان ﷺ يقول :

عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فان الله لا يمل حتى تملوا ، وأحب العمل ما دام عليه صاحبه وإن قلّ (١) .

وكان ﷺ يداعب أصحابه .

فقالوا له : يا رسول الله ، إنك تداعبنا !

فقال : نعم ، غير أني لا أقول إلا حقاً (٢) .

وكان جُلّ ضحكه التبسم ، يفترّ عن مثل حَب الغمام .

وكان إذا أوى إلى فراشه قال :

الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا ، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي (٣) .

وكان ﷺ إذا دخل بيته قال : هل عندكم طعام ؟

فاذا قيل : لا . قال : إني صائم (٤) .

---

(١) البخاري ومسلم . (٢) الترمذي . (٣) أحمد .
(٤) أبو داود .

وكان ﷺ أكثر الناس تواضعا :

جاءته امرأة فقالت : إن لي إليك حاجة :

فقال : اجلسي في أيّ طرق المدينة شئتِ أجلس إليك (١) .

وكان ﷺ لا يأكل متكئاً . ويقول :

بركة الطعام الوضوء قبله ، والوضوء بعده(٢) ـ يعنى غسل اليدين ـ

وأرشد إلى آداب الأكل فقال :

سمِّ الله تعالى ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك (٣) .

وكان إذا فرغ من طعامه قال :

الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين (٤) .

وكان ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ، ويقول: السلام عليكم ، السلام عليكم (٥) .

---

(١) مسلم . (٢) أحمد . (٣) البخاري ومسلم .
(٤) أحمد . (٥) أحمد وغيره .

وكان ﷺ يحب التيامن في الأمور كلها .

قال أنس رضي الله عنه : أتانا رسول الله ﷺ في دارنا فاستسقى - أي طلب أن يشرب - فحلبنا له شاة - ثم شُبته - أي مزجت الحليب - بماء فأعطيت رسول الله ﷺ فشرب ، وكان أبو بكر رضي الله عنه عن يساره ، وعمر رضي الله عنه أمامه ، وأعرابي عن يمينه .

فلما فرغ رسول الله ﷺ من شربه قال عمر :

هذا أبو بكر يا رسول الله ، يريه إياه .

فأعطى رسول الله ﷺ الأعرابي ، وترك أبا بكر وعمر ، وقال :

الأيمنون ، الأيمنون ، الأيمنون .

قال أنس : فهي سنة ، فهي سنة ، فهي سنة .

وكان ﷺ أوسع الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عِشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه .

وكان لا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه ، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير ، فاذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده الحديث . من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم عنده حديث أولهم .

وكان لا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز – أي يجاوز الحق – فيقطعه بنهي أو قيام .

يضحك ﷺ مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته .

وكان ﷺ لا يواجه أحداً بما يكره ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح .

• • •

هذا قليل من كثير يجـــده من اطلع على سيرته الشريفة ﷺ . وذلك مما يتأكد على المسلم المحب لرسول الله ﷺ ، ليزداد معرفة به ، وحباً له ، وتأسياً بشمائله الكريمة ، وأخلاقه العظيمة .

في الحديث الشريف : بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق(١) .

---

(١) أحمد وغيره .

كيف نحيي ذكراه ﷺ

لم ينسَ العالَم فضل هذا الرسول الكريم ﷺ . ففي كل شهر ربيع الأول من كل عام هجري ، تُقام معالم الزينة في أنحاء العالم الاسلامي ، وتمتلىء الصحف بأحسن القول ، وتنطلق الألسنة بأطيب الثناء ، وتفيض القلوب بالمسرة والابتهاج . . .

وهذا بعض ما يجب لهذا الرسول الأكرم ، ﷺ من إجلال وإعظام .

لكن ينبغي أن لا يقتصر إحياء هذه الذكرى على أنوار تشعّ ، ومآذن تُنار ، وحفلات تُقام ، وأبحاث تُكتب ، وأقوال تُخطب . . . لا ، كل هذا وما إليه مظاهر لا تفي بالتعظيم ، ولا تحقق معنى التكريم .

إنما التكريم الحق ، والاجلال الصادق ، أن نستمسك بالقرآن الكريم الذي أُنزل عليه ، ونستلهمه الخير والحكمة ، ونستنطقه الحجة والبرهان ، ونستنير بهديه وإرشاده ،

ونذعن إليه قاضياً ومعلما، وأن نحكمه في أنفسنا وأسرنا، ومقوماتنا الخاصة والعامة : نأتمر بأمره ، وننتهي بنهيه ، لا نقصّر عنه ولا نجاوزه ، نتدارسه صباح مساء ، ونستكشف منه ما أودع من حكم وعلم ، وما حواه من عظة وعبرة .

التكريم الحق أن نتبع سنة هذا النبي الكريم ﷺ ، وندرس سيرته دراسة وعي وفهم ، فنستلهم منها الهدى والرشاد ، والعلم والفضل ، والتضحية والثبات ، ونطالع سيرة أصحابه الغر الميامين ، وأخبارهم الممتعة ، فنتعلم كيف يكون الانقياد والاتباع ، وكيف يتحمل الأذى ويستعذب العذاب ، في تأييد الشرع الحكيم ، والمبدأ الحق ، وكيف تبذل الأموال والأرواح فى سبيل الله ، وإعلاء دينه ، ونصرة رسوله .

وفي سنته ﷺ وسيرة أصحابه بيان ما نحتاج إليه في عباداتنا ومعاملاتنا ، وجميع نواحي حياتنا . . .

وفيها بيان ما ينبغى أن يُربَّى عليه الفرد والأسرة ، وما ينبغي أن تكون عليه الأمة حكومة وشعبا . . .

وفيها ما يبدّد كل غموض ، ويحل كل مشكلة تعترضنا في هذه الحياة ، وما ينير لنا الحق ويهدي السبيل .

التكريم الصادق أن نتمسك بمبادىء دينه المشرقة ، وأنظمته الخالدة ، التي تنشيء الفرد قوياً متميزاً بالخلق السامي ، والعقل الراجح ، والجهاد الدائم ، والعقيدة الراسخة ، لا يذوب في غيره ، ولا تلوي به عواصف الأهواء والمغريات ، ولا يتلوّن متأثراً بالمطامع والحزبيات ، ولا تزحزحه عن إسلامه نُعَرة ولا عصبية ، ينصر الحق لا تأخذه فيه لومة لائم ، ويتفانى في تأييده ونصرته ، ويموت في سبيل الدعوة إليه ، وإحيائه وإعزازه .

التكريم الحق أن يفخر المسلم بتاريخه المجيد ، وسلفه الصالح ، ويرفع رأسه معتزاً بدين رفع الانسانية من حضيض الجهل إلى أوج العلم ، وهداها سبيل السعادة في الدنيا والآخرة .

ومَن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال : إنني من المسلمين [١] ؟

---

(١) ٢٣ ـ فصلت .

الولاية والوليّ

الولاية مرتبة من مراتب القرب من الله تبارك وتعالى :

وتكون الولاية كسبية ، وتكون وهبية ، كسائر المنح الالهية الحسية والمعنوية ، ما عدا النبوة ، فلا تكون إلا وهبية .

والوليّ له معنيان :

أحدهما : أنه على وزن « فعيل » بمعنى « مفعول » .

وهو من يتولى الله تعالى أمره :

قال الله عز وجل : وهو يتولى الصالحين (١) .

فلا يكله الله تعالى إلى نفسه لحظة ، بل يتولى رعايته وحفظه .

والثاني : أنه على وزن « فعيل » مبالغة من اسم الفاعل .

وهو الذي يتولى عبادة الله تعالى وطاعته ، فعبادته

---

(١) ١٩٦ – الأعراف

تجري على التوالي ، من غير أن يتخللها عصيان .

وكلا الوصفين واجب حتى يكون الوليّ وليّاً :

يجب قيامه بحقوق الله تبارك وتعالى على الاستقصاء والاستيفاء ، ودوام حفظ الله تعالى في السراء والضراء .

ومن شرط الوليّ أن يكون محفوظا من المعاصي ، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما .

فكل من كان للشرع عليه اعتراض ، ويظن في نفسه الولاية ، فهو مغرور مخدوع .

قصد أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه بعض من وُصف بالولاية ، واشتهر أمره ، فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه .

فخرج الرجل ، وتنخَّم ـ أي بصق ـ في المسجد .

فانصرف أبو يزيد ، ولم يحرص على لقائه بعد ذلك ، وقال :

هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة ، فكيف يكون مأموناً على أسرار الحق سبحانه وتعالى ؟!

وكان سهل بن عبدالله التُّسْتَري رضي الله عنه يقول :
الوليّ هو الذي توالت أفعاله على الموافقة .
أي على موافقة الكتاب والسنة .
وكان السيد الجنيد البغدادي رضي الله عنه يقول :
طريقتنا هذه مبنية على الكتاب والسنة .
وقال آخر : إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء ، ويمشي على الماء ، فلا تقيموا له وزنا ، حتى تعرضوا عمله على الكتاب والسنة . فان وافق الكتاب والسنة فذلكم الرجل ، وإلا فلا .

هل يعلم الوليّ أنه وليّ

اختلف العلماء رضي الله عنهم في أن الولي هل يجوز أن يعلم أنه ولي ، أم لا ؟

فمنهم من قال : لا يجوز ذلك ؛ وقال :
إن الولي يلاحظ نفسه بعين التصغير ، وإن ظهر

عليه شيء من الكرامات ، خاف أن يكون ذلك مكرا ، وهو يستشعر الخوف دائماً أبداً .

وإنما يخاف سقوطه عما هو فيه ، وأن تكون عاقبته بخلاف حاله .

ومنهم من قال : يجوز أن يعلم الوليّ أنه وليّ .

وهو أيضاً دائم الخوف من الله تبارك وتعالى ، وإن أُكرم بتعريف الحق إياه أنه مأمون العاقبة . كما كان شأن العشرة المبشرين بالجنة من أصحاب رسول الله ﷺ ، ورضي الله تعالى عنهم .

خوف الولي من الله تعالى

وخوف الولي من الله تعالى خوف هيبة وتعظيم وإجلال .

ولما قال ﷺ : عشرة في الجنة من أصحابه . فالعشرة لا محالة صدّقوا الرسول ﷺ ، وعرفوا سلامة عواقبهم ، ومع هذا كان الغالب عليهم الخوف :

دخل أبو بكر رضي الله عنه بستاناً ، فرأى عصفوراً في ظل نخلة ، فقال :

هنيئاً لك يا طير : تأكل الثمر ، وتستظل بالشجر ، وتصير إلى غير حساب ، ليتني كنت مثلك .

ولما بويع بالخلافة قال في أول خطبته :

أيها الناس ، قد وُلّيت عليكم ، ولست بخيركم ...

وكان عمر رضي الله عنه يقول :

ليت أم عمر لم تلد عمر .

والتقط تبنة من الأرض وقال :

ليتني كنت هذه التبنة !

وكان يقول : ليتني كنت كبشاً ، سمّنني أهلي وذبحوني وأكلوني .

ووبّخ بعض أولاده مرة فقال :

وأما أبوك ، فلا أكثر الله في المسلمين مثله .

ولما حضرته الوفاة قال :

ليتني أنجو منها كفافاً لا عليّ ولا لي .

وكان يقول : لو أن لي ملءَ الأرض ذهباً لافتديت به من هو المطّلع .

ولما طُعن واحتُضر اشتد خوفه ، فأخذ عبدالله بن عباس رضي الله عنهما يخفف عنه من وطأة خوفه ، فقال :

يا أمير المؤمنين ، والله لقد كان إسلامك عزاً للاسلام ، وخلافتك نصراً وفتحا . . .

فقال وقد خفت وطأة خوفه : أتشهد لي بذلك يابن عباس ؟

من علامات الولي

الأولياء رضي الله عنهم صفوة الخلق بعد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

ولهم علامات ، فمن علاماتهم :

١ ـ أنهم إذا رُءُوا ذُكر الله .

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى :

ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون(١).

قال : هم الذين يُذكر الله لرؤيتهم .

وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه : الوليّ ريحان الله في الأرض ، يشمّه الصديقون ، فتصل رائحته إلى قلوبهم ، فيشتاقون به إلى مولاهم ، ويزدادون عبادة على تفاوت أخلاقهم .

٢ ـ ومن علامات الولي الايمان والتقوى :

قال الله تعالى : ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .
الذين آمنوا وكانوا يتقون (٢) .

فالأولياء أهل تقوى وورع ، يأخذون بالعزائم ، وبالحيطة في أمر دينهم .
والورع ترك الشبهات .

---

(١) ٦٢ ـ يونس . (٢) ٦٢ و ٦٣ ـ يونس .

ففي الحديث الشريف : إن الحلال بيّن ، وإن الحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهات ، لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات ، فقد استبرأ لدينه ، وعرضه ، ومن وقع في الشبهات ، وقع في الحرام (١) . . .

دَعْ ما يَريبك إلى ما لا يَريبك (٢) .

ومعناه اترك ما تشُكّ فيه إلى ما لا تشك فيه .

وكان لأبي بكر رضي الله عنه غلام يُخرِج له الخراج - أي يأتيه بما يكسبه من الخراج - وكان أبو بكر رضي الله عنه يأكل من خراجه - أي من كسبه - فجاء يوماً بشيء ، فأكل منه أبو بكر .

فقال الغلام : تدري ما هذا ؟

فقال أبو بكر : وما هو ؟

فقال : كنتُ تكهّنت لانسان في الجاهلية ، وما أُحسِن الكهانة ، إلا أني خدعته ، فلقيني ، فأعطاني لذلك

---

(١) البخاري ومسلم . (٢) الترمذي .

ـ أي لأجل تكهّني له ـ هذا الذي أكلتَ منه .

فأدخل أبو بكر يده ، فقاء كل شيء في بطنه [١] .

ورهن الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه سطلاً له عند بقال بمكة ، فلما أراد فكاكه ، أخرج البقال إليه سطلين ، وقال :

خذ أيُّهما هو لك .

فقال أحمد : أشكل عليّ سطلي ، فهولك ، والدراهم لك .

فقال البقال : سطلك هذا ، وأنا أردت أن أجربك .

فقال : لا آخذه ، ومضى ، وترك السطل عنده [٢].

ـ ومن علامات الولي أن يكون حبه في الله .

ففي الحديث الشريف : إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله .

---

(١) البخاري .

(٢) وكتب السلف حافلة بحكايات أهل الورع ، وإن أردت المزيد فارجع إلى كتابنا « شؤم المعصية ، وبركة التقوى » .

قالوا : يارسول الله ، تخبرنا من هم ؟

قال هم قوم تحابوا في الله ، على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتقاطعونها ، فوالله إن وجوههم انور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ هذه الآية :

ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا يحزنون (١) .

وفي رواية أخرى : يفزع الناس ولا يفزعون ، ويخاف الناس ولا يخافون (٢) .

قال بعض المحققين : زوال الخوف والحزن عنهم ، إنما يحصل لهم في الآخرة ، لأن الدنيا لاتخلو من همّ وغمّ ، وأنكاد وحزن .

٤ ـ ومن علامات الولي تولّي الله تعالى إياه :

قال الله تعالى : الله وليّ الذين آمنوا (٣) . . .

وهو يتولى الصالحين (٤) .

---

(١) أبو داود . (٢) البغوى (٣) ٢٥٧ ـ البقرة .
(٤) ١٩٦ ـ الأعراف .

إن الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون (١) .

وقال أبو بكر الأصم رضي الله عنه : أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم ، وتولّوا القيام بحق العبودية لله ، والدعوة إليه .

٥ ـ ومن علامات الولي شغله بالله . . .

قال بعضهم ، علامة الوليّ ثلاثة :

شغله بالله تعالى ـ أي بعبادته وشهوده ـ .

وفراره إلى الله تعالى ـ أي مما سواه ، ولا سيما في الشدائد ـ .

وهمّه إلى الله عز وجل ـ فلا يهتم بسواه ـ

وقال آخر : الوليّ لا يُرائي ولا ينافق ، وما أقلّ صديقَ من كان هذا خلقه !

وكان أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه يقول : أولياء الله تعالى عرائس ، ولا يرى العرائس

(١) ١٢٨ ـ النحل

إلا المَحْرَمون . . . . ـ أي غير الأجانب ـ .

٦ ـ ومن علامات الولي التلذذ بطاعة الله تعالى ، ووجدان حلاوتها .

قال بعضهم : لو علم الملوك ما نحن فيه في النعيم ، لجالدونا عليه بالسيوف .

وقال آخر : إن كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه من النعيم ، إنهم إذن لفي عيش طيب .

٧ ـ ومن علامات الولي تعجيل البشرى له .

قال الله تعالى : لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة[١]...

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال :

سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : لهم البشرى ...

قال : هي الرؤيا الصالحة ، التي يراها المؤمن أو تُرى له[٢] .

---

(١) ٦٤ ـ يونس . (٢) الترمذي

وعن رجل من أهل مصر ، قال :

سألت أبا الدرداء رضي الله عنه عن هذه الآية : لهم البشرى . . .

قال : ماسألني عنها أحد غيرك منذ سألت رسول الله ﷺ عنها .

وقال : ما سألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت ، هي الرؤيا الصالحة ، يراها المسلم أو تُرى له (١) .

وفي الحديث الشريف : لم يبقَ بعدى من النبوة إلا المبشّرات .

قالوا : وما المبشرات ؟

قال : الرؤيا الصالحة (٢) .

وفي حديث آخر : إذا اقترب الزمان ، لم تكن رؤيا المؤمن تكذب ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة (٣) .

---

(١) الترمذي. (٢) البخاري . (٣) البخاري ومسلم .

وقيل في تفسير الآية : لهم البشرى . . .

إن المراد بالبشرى في الحياة الدنيا ، هو الثناء الحسن ، وفي الآخرة الجنة .

ويدل على ذلك ما روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال :

قيل لرسول الله ﷺ : أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ، ويحمده الناس عليه ؟

قال : تلك عاجل بشرى المؤمن (١) .

قال العلماء رضي الله عنهم : معنى هـذا : البشرى المعجّلة له بالخير ، وهي دليل للبشرى المؤخرة له في الآخرة ، بقوله تعالى :

بشراكم اليوم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار (٢) ...

وهذه البشرى المعجّلة دليل على رضـا الله عنـه ، ومحبته له ، وتحبيبه إلى الخلق . كما جاء في الحديث الشريف :

---

(١) مسلم . (٢) ١٢ ـ الحديد .

إن الله تعالى إذا أحب العبد نادى جبريل :
إن الله يحب فلاناً فأحبه .
فيحبه جبريل ، فينادي في أهل السماء :
إن الله يحب فلاناً فأحبوه .
فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض[١] .

وهذا كله إذا حمده الناس وأثنوا عليه ، من غير تعرّض منه إلى حمدهم وثنائهم . وإلا فالتعرض لذلك رياء مذموم .

قال بعض السلف : إذا اشتغل العبد بالله عز وجل ، استنار قلبه ، وامتلأ نورا ، فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه ، فتظهر عليه آثار الخشوع والخضوع ، فيحبّه الناس ، ويثنون عليه . فتلك عاجل بشراه بمحبة الله له ، ورضوانه عليه .

وقال الزهري وقتادة في تفسير البشرى :
هي نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت .

---

(١) البخاري ومسلم .

ويدل عليه قوله تعالى :

تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون (١) .

وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما :

البشرى في الدنيا عند الموت ، تأتيهم الملائكة بالبشارة ، وفي الآخرة بعد خروج نفْس المؤمن ، يُعْرج بها إلى الله تعالى ، ويُبَشَّر برضوان الله عز وجل .

٨ - ومن علامات الولي حفظه من المعصية وتوفيقه للطاعة .

ففي الحديث الشريف : احفظ الله يحفظك (٢) . . .

والولي ممن يحفظ الله تعالى في أمره ونهيه ويتقيه .

وحكى أنه كان عند رجل أمة سوداء صالحة متعبدة ، فكان إذا أراد النوم ليلاً تعاتبه وتقول له :

يا سيدي ، تنام ومولانا لا ينام !

فكان يعتذر إليها بضعفه ، وينام .

---

(١) ٣٠ - فصلت .   (٢) البخاري .

وهيأت له فراشه ذات ليلة ، فنام على عادته ، وقامت هي إلى صلاتها وعبادتها ، ولما مضى بعض الليل ، تقلّب الرجل في فراشه ، وفتح عينيه ، فرآها مقبلة على صلاتها ، وسمعها تقول في سجودها :

إلهي ، أسالك بحبك لي أن تغفر لي !

فعجب منها الرجل ، وقال : يا هذه غلطتِ ، قولي : « بحبي لك » فما يدريك أنه يحبك ؟ !

فلما فرغت من صلاتها قالت :

يا سيدي ما غلطت ، لولا حبه إياي ما أقامني وأنامك !

كرامات الاولياء

مما يلحق بمعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، كرامات الأولياء رضي الله عنهم .

والكرامة أمر خارق للعادة ، يظهر على يد من ظاهره الصلاح ، يكرم الله تعالى بها عباده الصالحين ، وأولياءه المتقين .

ومن كرامات الأولياء ما قصه الله تعالى علينا في كتابه المجيد :

كقصة أصحاب الكهف ، ورزق السيدة مريم ، وصاحب سليمان عليه السلام ، الذي عنده علم من الكتاب ، وولادة امرأة زكريا عليه السلام وهي عقيم . . .

ومن كرامات الأولياء ما جاء في الاحاديث النبوية الصحيحة ، والاخبار الصادقة عن سلف هذه الامة :

من كرامات أبي بكر الصديق رضي الله عنه

أكل أبو بكر رضي الله عنه مع أضيافه مرة ، وأكلوا معه ، فجعلوا لا يرفعون لقمة ، إلا رَبَتْ ـ أي زادت ـ من أسفلها أكثر منها (١) .

وقال رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها قبل موته:

« وإنما هما أخواك وأختاك » .

---

(١) البخاري ومسلم .

وكانت زوجته حاملا ، فولدت بنتاً . فعرف قبل الولادة أنها بنت .

من كرامات عمر رضي الله عنه

وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته : يا سارية الجبل ، الجبل .

إذ انكشف له ان العدو قد أشرف عليه ، فحذّر سارية قائد جيش المسلمين ، وهو في بلاد العجم ، جانب عدوهم من جهة الجبل .

وسمع سارية صوته ، وقال : هـــذا صوت عمر ، وانتفع بهذا التحذير .

وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يقول :

ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيء قط : « إني لأظنه كذا » إلا كما يظن .

من كرامات عثمان رضي الله عنه

ودخل بعضهم على عثمان رضي الله عنه ، وكان قد لقي امرأة في طريقه ، فنظر إليها ، وتأمل محاسنها .

فقال له عثمان : يدخل عليَّ أحدكم ، وأثر الزنى ظاهر على عينيه ، أما علمتَ أن زنى العينين النظر ؟

فقال الرجل : أوحيٌ بعد رسول الله ؟ !

فقال : لا ولكن بصيرة وبرهان ، وفراسة صادقة .

وفي رواية : اتقوا فراسة المؤمن ، فانه ينظر بنور الله .

من كرامات علي كرم الله وجهه

دخل على عليَّ رضي الله عنه رجل من الخوارج ينطوي قلبه على كراهيته وبغضه ، فأثنى عليه نفاقا ، وبالغ في الثناء عليه .

فقال له علي كرم الله وجهه : يا هـذا : أنا دون ما تقول وفوق مافي نفسك .

من كرامات سعد رضي الله عنه

وشكا جماعة من أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في أمور كذبوا فيها عليه ، وكان المتكلم فيهم رجلا منهم يقال له : أسامة بن قتادة .

فقال سعد : أما والله لأدعونّ بثلاث :

اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا ، قام رياء وسمعة ، فأطل عمره ، وأطل فقره ، وعرّضه للفتن .

فوقع له ذلك ، وكان إذا سئل يقول :

شيخ كبير مفتون ، أصابتني دعوة سعد .

قال راوي الحديث : فأنا رأيته بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكِبَر ، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق فيغمزهن (١) .

---

(١) البخاري ومسلم .

من كرامات سعيد رضي الله عنه

وخاصمتْ سعيد بن زيد رضي الله عنه امرأة يقال لها : أروى ، إلى مروان بن الحكم ، وادّعت أنه أخذ شيئاً من أرضها . . .

قال سعيد : اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها ، واقتلها في أرضها .

فما ماتت حتى ذهب بصرها ، وبينما هي تمشي في أرضها ، إذ وقعتْ في حفرة فماتت .

وفي رواية : أنه رآها بعضهم عمياء ، تلتمس الجدر ، تقول : « أصابتني دعوة سعيد » وأنها مرت على بئر في الدار التي خاصمته فيها . فوقعت فيها ، وكانت قبرها (١) .

من كرامات أبي جابر رضي الله عنهما

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ، أنه قال :

---

(١) البخاري ومسلم .

لما حضرت غزوة أحُد دعاني أبي من الليل ، فقال :

ما أُراني – أي ما أظنني – إلا مقتولاً في أول من يُقتَل من أصحاب النبي ﷺ ، وإني لا أترك بعدي أعز عليّ منك غيرَ نفسِ رسول الله ﷺ ، وإن عليّ ديناً فاقضِه ، واستوصِ بأخواتك خيرا .

فأصبحنا فكان أول قتيل .

ودفنتُ معه آخر في قبره ، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر ، فاستخرجته بعد ستة أشهر ، فاذا هو كيوم وضعته غير أذنه ، فجعلته في قبر على حدة .

من كرامات أُسيد وعبّاد رضي الله عنهما

وعن أنس رضي الله عنه ، أن رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ ، خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ، ومعهما مثلُ المصباحين بين أيديهما .

فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله (١) .

---

(١) البخاري .

وفي بعض الروايات : أن الرجلين هما أُسَيد بن حُضَير ، وعبَّاد بن بشر رضي الله عنهما .

من كرامات عاصم وخُبيب رضي الله عنهما

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال :

بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط عيناً سريّة ، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه .

فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهُداة ـ موضع ـ بين عُسفان ومكة ، ذُكِروا لحيّ من هُذيل ، يقال لهم : بنو لحيان . فنفروا لهم بقريبٍ من مئة رجل رام ، فاقتصوا آثارهم .

فلما أحس بهم عاصم وأصحابه ، لجئوا إلى موضع ، فأحاط بهم القوم .

فقالوا انزِلوا ، فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدا .

فقال عاصم بن ثابت : أيها القوم ، أما أنا فلا أنزل

على ذمة كافر . اللهم أخبر عنا نبيك ﷺ .

فرموهم بالنبل ، فقتلوا عاصماً ، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم ؛ خُبَيب ، وزيدُ بن الدَّثِنة ، ورجل آخر .

فلما استمكنوا منهم ، أطلقوا أوتار قِسيّهم ، فربطوهم .

قال الرجل الثالث : هذا أول الغدر ، والله لاأصحبكم ، إنّ لي بهؤلاء أسوة ، يريد القتلى .

فجرّوه وعالجوه فأبى أن يصحبهم ، فقتلوه .

وانطلقوا بخبيب ، وزيد بن الدثنة ، حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر ، فابتاع ـ أي اشترى ـ بنو الحارث ابن عامر بن عبد مناف خبيباً ، وكان خبيب هـو قتل الحارث في بدر .

فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا على قتله .

فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحدّ ـ أي يحلق عانته ـ بها . فأعارته ، فدرج بُنَيٌّ لها ، وهي غافلة ،

حتى أتاه ، فوجدَتْه مُجلسَه على فخذه ، والموسى بيده ، ففزعتْ فزعةً عرفها خبيب .

فقال : أتخشينَ أن أقتله ؟ ! ما كنت لأفعل ذلك !

قالت : والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب . فوالله لقد وجدته يوماً يأكل قِطفاً من عنب في يده ، وإنه لموثق بالحديد ، وما بمكة من ثمرة .

وكانت تقول : إنه لرزقٌ رزقه الله خبيباً .

فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل ، قال لهم خبيب : دعوني أصلي ركعتين . فتركوه فركع ركعتين ، فقال :

« والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزَع لزدت . اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بَدداً ـ أي واحدا بعد واحد ـ فلا تبقِ منهم أحدا » وقال :

فلستُ أبالي حين أُقتَل مسلماً
على أيّ جنبٍ كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الاله وإن يشأ
يبارك على أوصال شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ومعنى: مصرعي : مـــوتي . والشِلْو : العضو .
ومُمَزَّع : مقطّع .

وأخبر النبيُّ ﷺ أصحابه يوم أصيبوا خبرهم .
وبعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حدّثوا أنه قُتل ، أن يُؤْتوا بشيء منه يعرف ، وكان قتلَ رجلاً من عظمائهم ، فبعث الله لعاصم مثلَ الظلة من الدَّبْر ـ أي النحل ـ فحمته من رسلهم ، فلم يقـــدروا أن يقطعوا منه شيئاً (١) .

كرامة رجل من قبلنا

وفي الحديث الشريف : بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض ، فسمع صوتاً في سحابة : « اسقِ حديقة فلان » .
فتنحى ذلك السحاب ، فأفرغ ماءه في حرة ـ أرض

---
(١) البخاري .

ذات حجارة سوداء ـ فاذا شَرْجَـة من تلك الشِراج ـ مسيل ماء ـ قد استوعبت ذلك الماء كله . فتتبّع الماء فاذا رجل قائم في حديقته ، يحوّل الماء بمسحاته .

فقال له : يا عبدالله ما اسمك ؟

قال : فلان ، للاسم الذي سمع في السحابة !

فقال له : يا عبدالله لم تسألني عن اسمى ؟

فقال : إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هـــذا ماؤه ، يقول : « اسقِ حديقة فلان » لاسمك ، فما تصنع فيها ؟ !

فقال : أما إذ قلت هذا ، فاني أنظر إلى ما يخرج منها ، فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثا ، وأردّ فيها ثلثه .

. . .

---

(١) رواه مسلم .

هذا ، ولا تزال الكرامات تظهر على أيدي الصالحين من هذه الأمة ، منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم ، إلى يومنا هذا ، إلى ما شاء الله تعالى ، وهي كثيرة مستفيضة ، يرويها الأجيال عن الأجيال ، لا يحصيها عدّ ، ولا تقف عند حدّ .

وفي ذلك ما يدمغ رأس المنكر ، ويقمع هامة المكابر ، ويقضي على باطل الجاحد قضاء لا يبقي ولا يذر .

وصية هامة :

على المسلم أن يحذر كل الحذر من الوقيعة في أولياء الله تعالى . لأن ذلك من علامات المقت من الله تعالى ، والشقاوة والعياذ بالله .

قال أبو تراب النخشبي رضي الله عنه : إذا ألف القلب الاعراض عن الله تعالى ، صَحِبته الوقيعة في أولياء الله تعالى .

وقال بعض السلف : أحِبَّ أولياء الله ليحبوك ،

فلعل الله تعالى يطّلع على قلب واحد منهم ، فيرى حبك فيه ، فتسعد سعادة لا تشقى بعدها أبدا .

وقال بعضهم : أخفى الله تعالى ثلاثة في ثلاثة :

أخفى رضاه في جميع طاعاته ، حتى لا يتهاون العبد بطاعة من الطاعات .

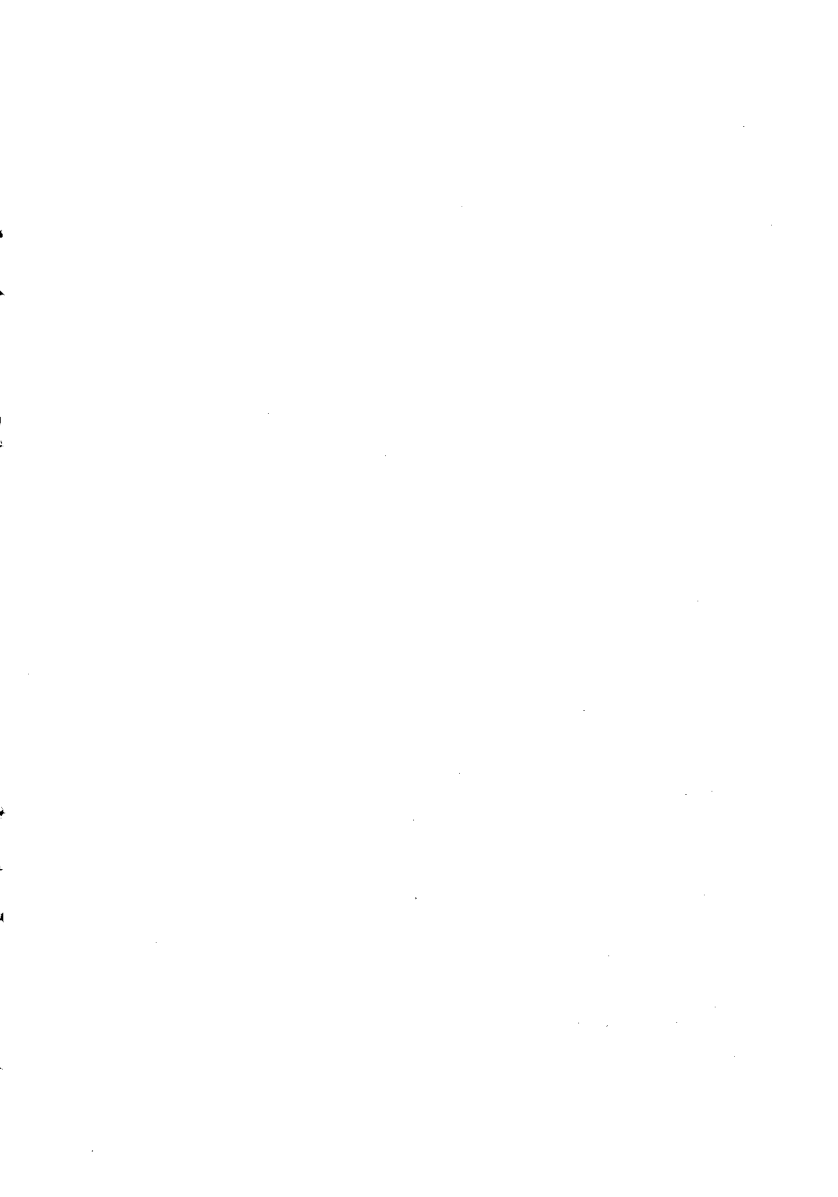
وأخفى سخطه في جميع معاصيه ، حتى لا يحتقر العبد معصية من المعاصي .

وأخفى ولايته فى خلقه ، حتى لا يزدري العبد أحداً من الخلق .

وعلى المسلم الحذر من الغرور وخداع النفس ، وأن يظن أنه من أولياء الله ، بركعات يصليها ، أو عبادات أخرى يؤديها . . .

فذلك من الغرور والرضا عن النفس ، وما ترك من الجهل شيئاً من رضي عن نفسه . . .

ومن نظر في أمر الدين إلى من هو فوقه ، استصغر نفسه لا محالة ، وسلم من الغرور ، والله المستعان .

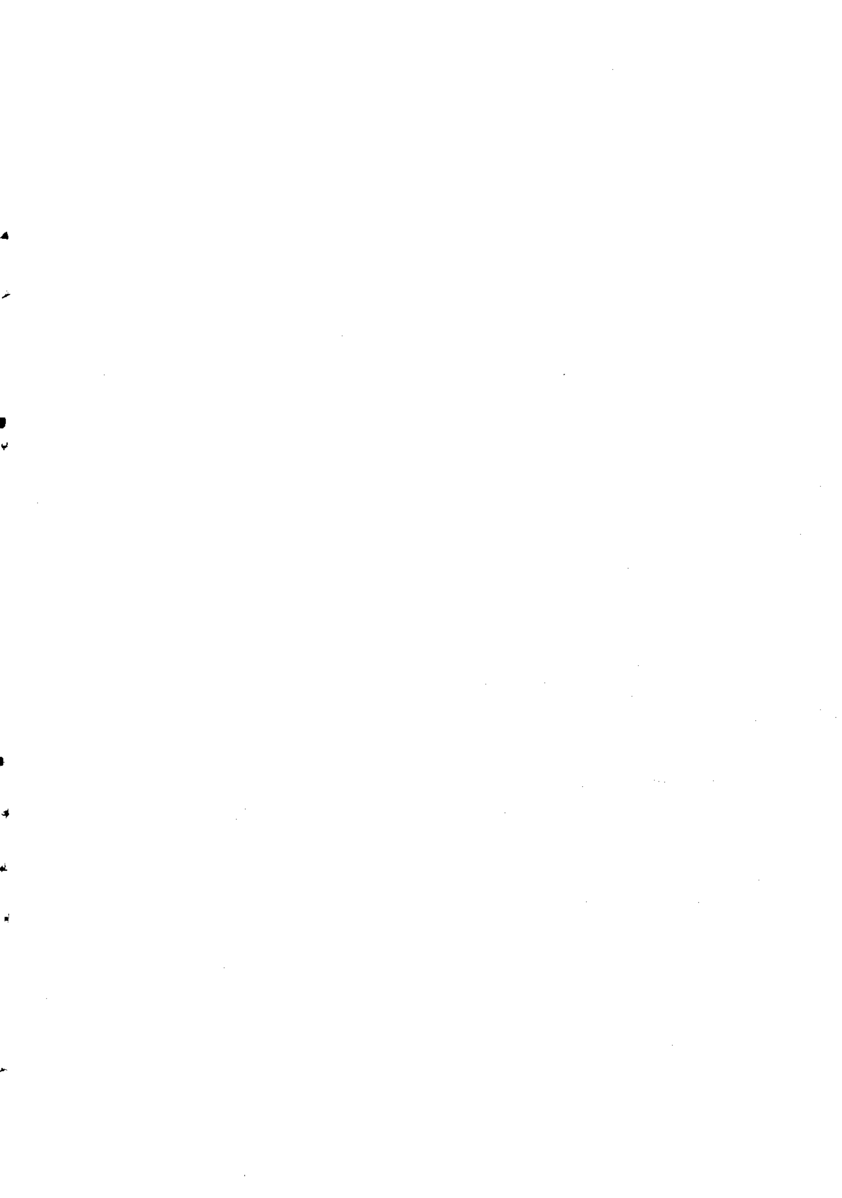


الإيمان بالكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذي نزّل على رسوله ، والكتاب الذي أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، فقد ضل ضلالاً بعيداً .

(١٣٦ ـ النساء)



الكتب المنزلة

أنزل الله تعالى على بعض رسله كتباً فيها أوامره ونواهيه ، وحلاله وحرامه ، ومواعظه وزواجره ، ووعده ووعيده . . .

قال الله تعالى : يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذي نزّل على رسوله ، والكتاب الذي أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فقد ضل ضلالاً بعيدا (١) .

والكتب المنزلة أربعة ؛ وهي :

التوراة ، والزبور ، والانجيل ، والقرآن .

١ ـ فالتوراة أنزلها الله تعالى على رسوله موسى عليه السلام .

قال الله تعالى : إنا أنزلنا التوراة فيها هدًى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا (٢) . . .

---

(١) ١٣٦ ـ النساء . (٢) ٤٤ ـ المائدة .

أراد بالنبيين الذين بُعثوا بعد موسى عليه السلام ، وذلك أن الله تعالى بعث في بني إسرائيل كثيراً من الأنبياء ، وليس معهم كتاب ، إنما بُعثوا باقامة التوراة وأحكامها .

٢ ـ والزبور أنزله الله تعالى على رسوله داود عليه السلام . قال الله تعالى : وآتينا داود زبورا (١) .

٣ ـ والانجيل أنزله الله تعالى على رسوله عيسى عليه السلام .

قال الله تعالى : وقفّينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ، ومصدقاً لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة المتقين (٢) .

٤ ـ والقرآن الكريم ، وهو آخر الكتب ، أنزله الله تعالى على خاتم رسله سيدنا محمد ﷺ .

قال الله تعالى : وأنزلنا إليك الكتاب ـ يعني القرآن ـ بالحق ، مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه (٣)...

---

(٢) ١٦٣ ـ النساء .　　(٢) ٤٦ ـ المائدة .

(٣) ٤٨ ـ المائدة .

الصحف :

وأنزل الله تعالى صحفاً على بعض رسله .

قال الله عز وجل : إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى[١] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال :

قلت : يا رسول الله ، ما كانت صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؟

قال : كانت أمثالاً كلها :

أيها الملك المسلَّط المغرور ، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكني بعثتك لتردَّ عني دعوة المظلوم ، فاني لا أردها وإن كانت من كافر .

وعلى العاقل ، ما لم يكن مغلوباً على عقله - أن تكون له ساعات :

---

(١) ١٨ - الأعلى .

ساعة يناجي فيها ربه .

وساعة يحاسب فيها نفسه .

وساعة يتفكر فيها في صنع الله .

وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب .

وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا لثلاث :

تزوّدٍ لمعادٍ ، أو مَرمّة - أي إصلاح - لمعاش ، أو لذة في غير محرم .

وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه .

ومن حسب كلامه من عمله ، قلّ كلامه إلا فيما يعنيه .

قلت : يا رسول الله ، فما كانت صحف موسى عليه الصلاة والسلام ؟

قال : كانت عبراً كلها :

عجبت لمن أيقن بالموت ، ثم هو يفرح !

عجبت لمن أيقن بالنار ، ثم هو يضحك !

عجبت لمن أيقن بالقدَر ، ثم هو ينصب - أي يتعب - !

عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ، ثم اطمأن إليها !

وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً ، ثم هو لا يعمل [١] !

القرآن الكريم

القرآن الكريم : كتاب أحكمت آياته ثم فُصّلت من لدن حكيم خبير [٢] .

أوحاه الله تعالى إلى رسوله سيدنا محمد ﷺ ليكون من المنـذرين ، بلسان عربي مبين ، خاطب فيه القلوب بالموعظة ، والعقول بالدليل ، ولفت النظر إلى ما في الكون من آيات وعبر . . .

فانطلقت به الأفـكار من قيودها ، وتحركت بعد خمودها وجمودها ، فاستبان الحق ، ووضح النهج ، وقامت الحجة ، وانزاحت الشبهة .

---

(١) ابن حبان والحاكم . (٢) ١ - هود .

نزل القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ ، وهو النبي الأمي ، الذي لم يتلقَّ من أستاذ ، ولم يجلس إلى معلم ، ولم يتلُ من قبله من كتاب ، ولم يَخُطّ بيمينه حرفا .

قال الله تعالى : وإنك لَتُلَقَّى القرآن من لدن حكيم عليم (١) .

وقال عز وجل : وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون (٢) .

نزل القرآن الكريم تأييداً لدعوة النبي ﷺ ، وشاهداً بصدق رسالته ، فتحدى به العرب أجمعين ، ولم يخص طائفة دون طائفة ، ولا قبيلاً دون قبيل ، وقد كانوا أرباب الفصاحة ، وفرسان البلاغة ، النثر أنفس بضاعتهم ، والشعر أربح تجارتهم ، كان فيهم الخطباء المصاقع ، والشعراء المفلقون ، يعقدون للقول المجامع ، ويقيمون الأسواق ، فيغالبون ويفاخرون ، وكانوا ذوي أنفة وعزة واستكبار ، يأبون الضيم ، وينفرون من الصَّغار ، وكانوا يحرصون كل

---

(١) ٦ ـ النحل . (٢) ٤٨ ـ العنكبوت .

الحرص على التغلب عليه ﷺ وإبطال دعواه ، ومع ذلك دعاهم بأمر الله تعالى في آيات القرآن إلى المعارضة وأغراهم بالمناهضة ، فقال تعالى :

وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ، فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين (١) .

ولقد كان لهم أن يجمعوا من العقلاء والفصحاء من شاءوا ، فيأتوا بشيء من مثل ما أتى به ، ليبطلوا حجته ، كما كانوا يجتمعون للمباهاة بالقول والمباراة ، وليربئوا بأنفسهم عن عار الغلب ، وليصونوا دماءهم التي سفكها عنادهم واستكبارهم .

ولكنهم لم يجترئوا على شيء من ذلك ، ولم يقدموا عليه مع طول زمن التحدي ، وإمعانهم في التكذيب والتعدي .

وإذا عجز العرب عن المعارضة ، كان غيرهم أشد عجزا ، ولهذا سجله الله تعالى على الإنس والجن جميعا بقوله عز وجل :

---

(١) ٢٣ - البقرة .

قل : لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (١) .

حكم شامل قاطع ، لا يمكن أن يصدر من إنسان لا علم له بما يجدّد من القوى على طول الزمان ، وإنما هو حكم الله الواهب للقوى ، المطلع على ما كان وما سيكون ، العالم بأن القرآن الكريم خارج عن طوق البشر ، معجز كل من رام معارضته ، أو أراد مناهضته ، وإذن لا يكون القرآن من كلام إنسان ، بل هو تنزيل من حكيم حميد .

ما تضمنه القرآن الكريم

ـ تضمن القرآن الكريم توجيه النظر ، وطلب التفكر فيما خلق الله في السموات والأرض ، لنستدل به على وجوده تعالى وقدرته ، وسائر ما اتصف به من صفات الجلال والكمال ، في مثل قوله تعالى :

---

(١) ٨٨ ـ الاسراء .

إن في السموات والأرض لآياتٍ للمؤمنين .

وفي خلقكم وما يبثُّ من دابة آياتٌ لقوم يوقنون .

واختلافِ الليل والنهار ، وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها ، وتصريفِ الرياح آياتٌ لقوم يعقلون .

تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ، فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون (١) ؟

ـ وقص علينا من أخبار الأمم الماضية ما فيه عبرة لنا ، وبيّن أن ما أصابهم من الاضمحلال والهلاك كان جزاء إعراضهم عما شرع لهم ، وفسوقهم عن أوامر ربهم ، وكفرهم بما أنعم به عليهم :

ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكّنّاهم في الأرض ما لم نمكن لكم ، وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ، وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم ، فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين (٢) .

---

(١) ٣ ـ ٦ الجاثية . (٢) ٦ ـ الأنعام .

ـ ونص على علماء الأديان السالفـة تحريفهم كتبهم ، بتأويلها على غير وجهها ، ونسيانهم حظاً مما ذُكّروا به ، وإدخالهم في دينهم ما ليس منه ، وتصرّفهم بأحكام الحلال والحرام ، بحسب أهوائهم وشهواتهم . . . في آيات كثيرة من الكتاب .

قال الله تعالى : يحرّفون الكلم عن مواضعه « ونسوا حظاً مما ذكّروا به ، ولا تزال تطّلع على خائنـة منهم إلا قليلا منهم ، فاعف عنهم واصفح ، إن الله يحب المحسنين[١].

وقال عز وجل : فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون : « هذا من عند الله » ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون[٢] .

ـ وحوى من الأحكام الكلية الصالحة لكل زمان وكل أمة ، ما يكفل السعادة الدنيوية والأخروية ، إذا فُهم على وجهه ، وأُدّي حقّ تأديته :

---

(١) ١٣ ـ المائدة . (٢) ٧٩ ـ البقرة .

قال الله تعالى : إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم (١).

وقال عز وجل : وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين (٢) . . .

وقال جل شأنه : قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم (٣) .

ـ وحث القرآن الكريم على الأخلاق الفاضلة : من الصبر ، والصدق ، والأمانة ، والعدل ، وحسن المعاملة ، ورعاية الجوار ، والوفاء بالعهد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . . . إلى غير ذلك مما ينهض بالأمم ، ويرقى بها إلى أعلى درجات العز والسيادة .

قال الله تعالى : إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكّرون(٤) .

---

(١) ٩ ـ الاسراء .
(٢) ٨٢ ـ الاسراء .
(٣) ١٦ ـ المائدة .
(٤) ٩٠ ـ النحل .

وقال عز وجل : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل[١].

وقال جل شأنه : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله[٢] . . .

ـ هذا ، إلى إخباره بأمور غيبية ، جاءت من بعدُ على ما أخبر بها .

من ذلك قوله تعالى : لتدخُلُنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ، محلّقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون[٣]...

وقوله عز وجل : غُلبتِ الروم في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين [٤] .

وقد كان ذلك كله .

ـ وإلى إشارته إلى أمور كونية ، وأسرار إلهيــة ، كشفها البحث ، وأثبتها العلم ، من نحو قوله تعالى :

---

(١) ٥٨ ـ النساء . (٢) ١١٠ ـ آل عمران .

(٣) ٢٧ ـ الفتح . (٤) ٢ ـ الروم .

وأرسلنا الرياح لواقح (١) . . .

وقوله عز وجل : مَرَجَ البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان (٢) .

وقوله جل شأنه : أو لم يَرَ الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شيء حي ، أفلا يؤمنون (٣) ؟

– والقرآن الكريم في ذلك كله كما وصفه أحد البلغاء :

إن أوجز كان كافيا ، وإن أكثر كان مذكِّرا ، وإن أمر فناصحا ، وإن نهى فمشفقاً ، وإن حكم فعادلا ، وإن أخبر فصادقاً ، وإن بيّن فشافيا ، لا يمله قارئه ، ولا يمجّه سامعه ، يزداد على الترديد حلاوة ، وعلى التكرار طلاوة ،

---

(١) ٢٢ ـ الحجر . (٢) ١٩ ـ الرحمن . ومعنى ذلك أنه البحر العذب والملح في مرأى العين ، فهما يلتقيان لكنهما لا يمتزجان لما بينهما من الاختلاف في التكوين ، كاختلاف ثقلهما النوعي ، وهو المراد بالبرزخ ـ أي الحاجز ـ .

(٣) ٣٠ ـ الأنبياء .

وغيره يُعادى إن أعيد ، ويُمل مع التكرار والترديد ...

• • •

ذلك هو القرآن الكريم ، المنزل على نبينا سيدنا محمد ﷺ ، آخر الأنبياء ، وخاتم المرسلين ، المكتوب في السطور ، المحفوظ في الصدور ، من بـــدء نزوله ، إلى ما شاء الله أن يكون :

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (١) .

كيف نزل القرآن الكريم ؟

نزول القرآن منجما

اقتضت حكمة الله تعالى ، وهو اللطيف الخبير ، أن لا ينزل القرآن جمـــلة واحدة ، لتستعد القوى الانسانية

---

(١) ٩ ـ الحجر .

لتلقي هذا الفيض الالهي ، وتقوى على وعيه وفهمـــه ، ولتتيسر كتابته وحفظه . . . لهذا نزل منجّما مفرّقا ، فكانت آيات الأحكام وغيرها تنزل بحسب الوقائع والحوادث ومقتضيات الأحوال ، وكان ذلك أحكم في التشريع ، وأبلغ في التأكيد وأشد في الاعجاز .

مدة نزوله وأول ما نزل وآخره

نزل القرآن الكريم خلال ثلاث وعشرين سنة .

وكان أوله نزولاً قوله تعالى :

اقرأ باسم ربـــك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علّم بالقلم ، علّم الانسان ما لم يعلم (١) .

وآخره نزولاً قوله تعالى :

واتقوا يوما تُرجعون فيـه إلى الله ، ثم تُوفّى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون (٢) .

---

(١) ١ ـ ٥ ـ العلق . (٢) ٢٨١ – البقرة .

ورد أنه لما نزلت هذه الآية الكريمة ، قال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ :

يا محمد ، ضعها على رأس ثمانين ومائتي آية من سورة البقرة .

فهي بعد آيات الربا ، وقبل آية المداينة .

عدد سور القرآن ، المكي والمدني منه

سور القرآن أربع عشرة ومئة سورة .

نزل منها بمكة قبل الهجرة ست وثمانون سورة ، وتسمى : السور المكية .

والباقي بعدالهجرة ، وتسمى : السور المدنية ، وأكثرها من السور الطوال .

وكانت تنزل منه الآية والآيتان ، وما هو أكثر من ذلك ، وقد تنزل السورة بتمامها إذا كانت قصيرة ، ومن هذا فاتحة الكتاب وسورة الاخلاص .

وكان النبي ﷺ يأمر أصحابه بحفظ ما ينزل .

وكان كلما نزلت آية أو سورة ، يبلغها النبي ﷺ أصحابه ، ويستحفظهم إياها ، فيحفظونها من فورهم ، ويعتنون بذلك أتم اعتناء ، ثم يتلون أمامه ما حفظوا ، ليتثبّتوا من حفظه على ما سمعوا منه ﷺ .

وكان ذلك من أعظم القُرَب عندهم ، وكانوا يعلّمون من لم يشهد النزول من إخوانهم ، وبهذا حفظ القرآن الكثيرُ من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم .

أمر النبي ﷺ أصحابه بكتابة ما ينزل

وكذلك كان عليه الصلاة والسلام ، يأمر كتّاب الوحي بكتابة ما ينزل وقت نزوله ، ومن هؤلاء الكتّاب :

زيد بن ثابت ، وعلي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وأنس بن مالك ، وأُبيّ بن كعب ، وعبدالله بن سلام ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وغيرهم كثير رضي الله عنهم . فكانوا يكتبون ما يمليه عليهم في

الرقاع من الجلد ، وعلى عسب النخيل - وهو الطرف العريض من الجريد - واللخاف - وهي صفائح الحجارة - وغيرها .

ترتيب القرآن الكريم

وقد أجمع المسلمون على أن النبي ﷺ ، كان يقف أصحابه عند الكتابة أو الحفظ على ترتيب آيات السور ، ويعلمهم مواضعها منها ، وكان يقرأ السور الطوال وغيرها في الصلوات وخارج الصلوات جهراً فيسمعونه ، وكانوا يقرءون أمامه على ما رتّب وعلّم .

وقد ثبت أنه ﷺ عرض القرآن بعد تمامه عرضتين على جبريل عليه السلام ، ثم قرأه على أصحابه بعد ذلك على الترتيب الذي نعرفه ، فلم ينتقل عليه الصلاة والسلام ، إلى جوار ربه ، حتى كان القرآن كله مكتوبا ، يحفظه العدد الكبير من أصحابه ، ولكن الصحائف والألواح التي كتب عليها ، لم تكن مجموعة بين دفتين في مصحف واحد ، وإنما كان ذلك بعد .

جمع القرآن وتدوينه

جُمع القرآن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، وذلك أن عمر رضي الله عنه دخل عليه بعد سنتين من ولايته ، فقال له :

إن أصحاب رسول الله ﷺ يتهافتون على القتال تهافت الفراش على النار ، وإني أخشى أن لا يشهدوا موطنا إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا ، وهم حملة القرآن ، فيضيع ويُنسى ، ولو جمعته .

فنفر أبو بكر وقال : أفعل ما لم يفعل رسول الله ﷺ ؟ !

فيقول عمر رضي الله عنه : إنه والله خير .

ولم يزل عمر يراجع أبا بكر في ذلك ، حتى شرح الله صدر أبي بكر ، فأرسل إلى زيد بن ثابت - وهو من كتاب الوحي ، ومن الحفظة المتقنين - فعرض عليه قول عمر ، وعمر ساكت .

فنفر زيد كما نفر أبو بكر ، وقال :

نفعل ما لم يفعل رسول الله ﷺ ؟ !

فقال عمر : وما عليكما لو فعلتما ؟ إنه والله خير .

وما زال بهما حتى وافقاه .

فجمع أبو بكر رضي الله عنه الحفظة المشهود لهم بالاتقان ، وكان منهم :

زيد بن ثابت ، وأبيّ بن كعب ، وعلي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان .

وأخذوا يوالون الاجتماع ، وأحضروا كل ما كانوا كتبوه باملاء النبي ﷺ . فكتبوا القرآن آياته وسوره ، على الترتيب والضبط اللذين تلقوهما عن رسول الله ﷺ ، ووُضع عند أبي بكر ، فلما توفي كان عند عمر ، وبعده وُضع عند أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها .

المصحف الإمام ، أو مصحف عثمان

قلنا : إن الصحف التي كتب فيها القرآن كانت عند حفصة بعد وفاة أبيها ، فلم يكن كتب منه مصاحف يتداولها الناس ، ويقرءون فيها ، فلما كانت خلافة عثمان رضي الله عنه ، أشار عليه بعض أصحابه ، أن يكتب للناس مصاحف ، ويرسلها إلى الآفاق التي انتشر فيها الاسلام ، ليجتمع المسلمون على مصحف واحد ، وحتى لا يقع في القرآن زيادة ولا نقص ، ولا تبديل في آياته ، ولا تغيير في ترتيبه .

فأرسل عثمان إلى حفصة ، أن أرسلي إلينا الصحف ، ننسخها في المصاحف ، ثم نردّها إليك .

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ـ وهو أحد الذين جمعوا القرآن في عهد أبي بكر كما قدمنا ـ وعبدالله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبدالرحمن ابن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف ، ثم رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل مصر مصحفا ،

فأرسل إلى مكة ، والكوفة ، والبصرة ، ودمشق ، وأبقى بالمدينة مصحفا ، وأمر بما سواه من الصحف أو المصاحف أن يحرق ، وصار الناس يقرءون على مصاحفه ، ويكتبون منها مصاحفهم ، وتتابعوا على ذلك .

وقد اشتهر ما كتب بأمر عثمان بالمصحف الامام ، أو مصحف عثمان ، وهو المصحف المعروف الآن بالمصحف العثماني ، نسبة إلى عثمان رضي الله عنه .

الفرق بين الجمعين

والفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان رضي الله عنه .

أن الأول كان خشية أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حفظته ، لأنه لم يكن مجموعا في مصحف واحد ، فجمعه في صحائف مرتباً لها على ما وقفهم عليه النبي ﷺ .

وأن الثاني كان خشية أن يُقرأ كتاب الله على غير ما سُمع من رسول الله ﷺ ، فنسخ الصحف التي جمعها أبو بكر رضي الله عنه في مصحف واحد ، وكتب من ذلك مصاحف كما سبق .

ما كانت عليه كتابة المصحف ، وما صارت اليه

كان المصحف الذي كتب بأمر عثمان رضي الله عنه ، غير مشكول ولا منقوط ، وذلك لتيسير قراءته على الاوجه التي صح سماعها من رسول الله ﷺ ، وهي القراءات التي نسمعها من القراء ، فهي توافق رسم المصحف العثماني . وقد صح إسنادها كلها إلى النبي ﷺ ، ولا يتعارض معنى القرآن عليها ، وقرأ بها الصحابة والتابعون ومن بعدهم ، واشتهرت كل قراءة من راوٍ من الرواة المشهورين بصدق الرواية وإتقانها ، وأخذها عنه الخلق الكثير .

لكن لما دخل غير العرب في الاسلام من الفرس وغيرهم ، وفشا اللحن على الألسنة ، خيف على القرآن أن يلحن في قراءته ، فطلب زياد بن أبيه ـ وكان أمير العراق ـ إلى أبي الأسود الدؤلي ، وهو من كبار التابعين المتقنين للقراءة ، أن يضع للناس علامات تضبط قراءتهم ، فبدأ بالمصحف ، فشكل أواخر الكلمات فيه .

وجعل الفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة نقطة

تحته ، والضمة نقطة إلى جانبه .

وجعل علامة الحرف المنوّن نقطتين .

ثم انتشرت طريقته ، وعمل الناس بها ، لكنها لم تحفظ الألسنة من الخطأ كل الحفظ ، فكان يقع التحريف[١] والتصحيف[٢] في القراءة ، فدعا ذلك إلى إعجام الحروف ـ أي نقطها ـ وشكل أواخر الكلمات وأواسطها وأوائلها .

فقام بالعمل نصر بن عاصم ، والخليل بن أحمد .

فوضع الأول النقط أفراداً وأزواجاً بأمر الحجاج .

وغيَّر الثاني الشكل الذي وضعه أبو الأسود ، وجعل الفتحة ألفاً مسطوحة فوق الحرف ، والكسرة ياء تحته ، والضمة واواً في أعلاه ، ووضع علامات المد والتشديد .

ولقد عُني الحفاظ والقراء بعد ذلك بوضع فواصل بين آياته ، وعلامات تبين مواضع الوقف والابتداء فيه ،

---

(١) التحريف : هو التغيير في حركات الحروف .

(٢) التصحيف : هو التغيير في نقط الحروف .

وأخرى تعين على أحكام قراءته ، وجرت عادتهم أن يبينوا في أول كل سورة ، أهي مكية أم مدنية ، ويذكروا عدد آياتها .

وعناية المسلمين بكتابهم هذه العناية ، لم يشهد التاريخ مثلها في كتاب ، وهذا تحقيق لوعد الله تعالى في قوله :

إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون (١) .

فضل القرآن الكريم وتلاوته

القرآن الكريم كلام الله عز وجل ، ودستور شريعته الخالدة ، وقد أنزله الله تعالى للناس ، ليعملوا بما فيه ، ويسيروا على هديه وإرشاده ، فيسعدوا في الدنيا والآخرة .

وقد جعل الله سبحانه تلاوة القرآن الكريم عبادة مقربة إليه ، يثيب فاعلها ، ويفيض عليه الرحمة والرضوان ،

---

(١) ٩ ـ الحجر .

ذلك لأن التلاوة وسيلة لفهم كتاب الله عز وجل ، وتدبره ، والعمل بما فيه .

قال الله تعالى : إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ، يرجون تجارة لن تبور (١) .

وفي الحديث الشريف : اقرءوا القرآن ، فانه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه (٢) .

. . . وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده (٣) .

وقد بيّن الرسول ﷺ فضل تعلم القرآن وتعليمه : فقال :

خيركم من تعلم القرآن وعلّمه (٤) .

---

(١) ٢٩ ـ فاطر . (٢) مسلم .
(٣) مسلم . (٤) البخاري .

وإن من حق الايمان على صاحبه ، أن يتصل بكتاب ربه كل يوم ، ويكثر من تلاوته ، لينطبع سلوكه بطابع التوجيه القرآني ، ويستقيم عمله .

في الحديث الشريف : مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن مَثَلُ الأُترجّة - يعني البرتقالة - ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن مثلُ التمرة ، لا ريح لها ، وطعمها طيب حلو (١) . . .

من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول آلم حرف ، ولكن ألفٌ حرف ، ولامٌ حرف ، وميمٌ حرف (٢) .

من آداب تلاوة القرآن

لتلاوة القرآن الكريم آداب ، تنبغي مراعاتها تعظيماً لكلام الله تعالى ، وتحقيقاً للفائدة المطلوبة منه . وأهم هذه الآداب ما يلي :

(١) البخاري ومسلم .
(٢) الترمذي .

١ ـ أن يكون القارىء على طهارة ، وفي مكان نظيف طاهر .

٢ ـ وأن يتعوذ ويبسمل في أول قراءته .

قال الله تعالى : فاذا قرأتَ القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم [١] .

٣ ـ وأن يرتل الآيات ترتيلاً حسنا ، فيراعي مخارج الحروف والكلمات بالنطق العربي السليم ، من غير إسراع ولا إضاعة لبعض الكلمات والحروف .

قال الله تعالى : ورتّل القرآن ترتيلا [٢] .

٤ ـ وأن يحسّن صوته في التلاوة ما استطاع من غير تكلف .

ففي الحديث الشريف : زيّنوا القرآن بأصواتكم [٣].

٥ ـ وأن يتدبّر معناه ؛ وهذا من أهم الآداب :

---

(١) ٩٨ ـ النحل .
(٢) ٤ – المزمل .
(٣) أبو داود وغيره .

قال الله تعالى : كتاب أنزلناه إليك مبارك ، ليدَّبَّروا آياته ، وليتذكر أولو الألباب (١) .

فتدبّر القرآن الكريم هو المقصود الأول من تلاوته .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لأن أقرأ سورة أرتّلها ، أحبّ إليّ من أقرأ القرآن كله .

وقد ذمَّ الله تعالى الذين يقرءون القرآن ولا يتدبَّرونه ، فوصفهم كأن على قلوبهم أقفالاً تمنعهم أن يفقهوا ما يتلون ، فقال سبحانه :

أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها (٢) .

٦ ـ وأن يخشع عند تلاوته ، فيظهر عليه الوقار والسكينة احتراماً للقرآن الكريم .

قال الله تعالى : لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله (٣) . . .

---

(١) ٢٩ ـ ص . (٢) ٢٤ ـ محمد (ص) .

(٣) ٢١ ـ الحشر .

٧ ـ وأن يستمع إلى القرآن بأذنه وقلبه ، فينصت إليه إنصاتاً تاما ، ولا يتشاغل عنه بكلام أو عمل .

قال الله تعالى : وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون (١) .

دعاء :

اللهم إنا عبيدك بنو عبيدك بنو إمائك ، نواصينا بيدك ، ماضٍ فينا حكمك ، عدلٌ فينا قضاؤك .

نسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علّمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء أحزاننا ، وذهاب همومنا وغمومنا .

---

(١) الأعراف ـ ٢٠٤ .

الفهرس

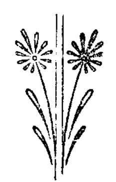
الصفحة	الموضوع

الصفحة	الموضوع
٨٣	التحذير من مخالفة الرسل .
٨٣	الندامة للمكذبين يوم القيامة .
٨٤	يُسأل الناس يوم القيامة عن رسلهم .
٨٦	الوحـــي .
٨٦	أقسام الوحي .
٩٠	ظاهرة الوحى .
٩٥	موجز السيرة المحمدية الشريفة :
٩٥	نسب النبي ﷺ .
٩٦	أدوار حياته ﷺ .
٩٧	الدور الأول من حياته .
١٠٠	الدور الثاني من حياته .
١٠٤	بدء انتشار الاسلام .
١٠٥	الدور الثالث من حياته .
١٠٥	الهجرة إلى المدينة .
١٠٧	السنة الأولى للهجرة .
١٠٨	السنة الثانية .

الصفحة	الموضوع

الصفحة	الموضوع

الصفحة	الموضوع
١٥٩	من كرامات عاصم وخُبيب رضي الله عنهما .
١٦٢	كرامة رجل من قبلنا .
١٦٤	وصية هامة .
١٦٩	الكتب المنزلة .
١٧١	الصحف .
١٧٣	القرآن الكريم .
١٧٦	ما تضمنه القرآن الكريم .
١٨٢	كيف نزل القرآن الكريم ؟
١٨٣	مدة نزوله . . .
١٨٤	عدد سوره . . .
١٨٥	أمر النبي ﷺ بكتابة ما ينزل .
١٨٦	ترتيب القرآن الكريم .
١٨٧	جمع القرآن وتدوينه .
١٨٩	المصحف الامام أو مصحف عثمان .
١٩٠	الفرق بين الجمعين .



تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥	٥	وعجائبه	وعجائب
٣٠	٩	خمُصاً	خمَصاً
٥٠	٤	ويحاولون	ويحالون
٨٠	٢	يدخلهْ	يدخلْهُ
١٠٠	٨	لرسالته	برسالته
١٠٨	٥	زكات	زكاة
١٠٨	١٠	وسبعون	وسبعين
١١٩	٦	يسحتي	يستحي
١٢٠	١٤	ببيت	يبيت
١٢٦	٦	والغيدامه	والغيداق
١٤٥	١٢	تولىّ	تولّي
١٤٧	٤	في النعيم	من النعيم
١٤٨	١٢	لم تكن	لم تكد
١٥٤	١٣	إلا كما	إلا كان كما

لفت نظر

يسر مكتبة الهدى بحلب ، أن تقدم للقراء الكرام ، من مؤلفات الأستاذ أحمد عزالدين البيانوني ، الكتب الآتية :

سلسلة تحت عنوان من هدى الاسلام :

١ - شؤم المعصية وبركة التقوى .
٢ - هذا الانسان !
٣ - الدعوة إلى الاسلام .
٤ - الفتن .
٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
٦ - القلب .
٧ - منهاج التربية الصالحة .
٨ - من محاسن الاسلام .

سلسلة العبادات :

١ ـ أحكام الطهارة والصلاة .
٢ ـ أحكام الزكاة والصيام والحج.

} على مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه

سلسلة العقائد :

١ ـ الايمان بالله تعالى .
٢ ـ الايمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام .

وسيصدر قريباً :

٣ ـ الايمان بالملائكة .
٤ ـ الايمان باليوم الآخر .
٥ ـ الايمان بالقضاء والقدر
٦ ـ الايمان ، خصائصه ، علاماته ، ثمراته .

مطبعة أمية ـ حلب